الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

في هذا العدد

القرية السعيدة	: بقلم عبده بدوى	٢
كاد النعام يطير – ١٦ –	: بقلم محمود محمد شاكر	٦
البيعة (قصيدة)	: للشاعر محمود حسن اسماعيل	١٢
دور الأديب العربى فى دعم القومية والوحدة العربية	: بقلم محمد خلف الله احمد	١٤
بحوث لغوية تاريخية	: بقلم حامد عبد القادر	١٧
التاريخ الاسلامى والمذهب المادى فى التفسير – ١ –	: بقلم فتحى عثمان	٢١
نظرات حول مؤتمر بغداد	: للدكتور احمد كمال زكى	٢٥
التجاوب ..	: بقلم ابراهيم الإبيارى	٣٠
مهرجان الشعر فى بغداد (قصيدة)	: للشاعر احمد رامى	٣٢
ولا امتثالية أيضا ..	: بقلم محمد جلال كشك	٣٤
العقاد وموقفه فى الدفاع عن الاسلام	: بقلم محمد عبد الله السمان	٣٧
من روائع الشعر الاسبانى	: ترجمة الدكتور الطاهر احمد مكى	٤٠
تعقيبات	: بقلم عباس خضر	٤٢
حول الأدب فى أسبوع	: بقلم عبده بدوى	٤٥
لماذا النحم وليس الذباب	: بقلم جلال العشرى	٥٠
الكتب نقد وتعريف : فلسطين من أقوال الرئيس جمال عبد الناصر	: بقلم تحسين عبد الحى	٥٣
كتب جديدة	: تقديم احمد الصادق عبدالصمد	٥٦
قراءات فى المجلات العربية	: تقديم محمد العوانى	٥٨
وجها لوجه (قصة)	: بقلم محمد عبد الحليم عبد الله	٦٠
مع فنان	: تقديم اميل جرجس	٦٤

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.
الإدارة :
٢٧ ش عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد – القاهرة .

القرية السعيدة

بقلم عبده بدوى

بينما كانت العربة تخطف الطريق ، وتبعد عن المدينة لتقرب من القرية ٠٠ كان هناك شعور بالارتياح يغمر نفسى ٠ وظلال من السكينة تهدىء من هذا التوتر الذى يكسو ايامنا فى المدينة ، وما هى الا دقائق حتى احسست بهذه الرائحة الخضراء التى لا تخطئنى ابدا ، وبهذا الامتداد الذى سقطت من جوانبه الجدران السميكة ، فالطريق كله « زقاق » جانباه الأفق ، والنسائم كلها أبكار لم تتسكع من قبل عند انسان ، والحرير الأخضر يكسو الأرض ، ثم يتجاوزها فيكسو النفوس ، واذا بالانسان يحس انه « يتعاطى » الحياة ، وانه يشعر بالنبض من كل شىء فيها ٠٠ ثم يعقب هذا الاحساس « بوحدة الكون الشاملة » فالانسان والحقل والقرية والسماء تبدو كشىء واحد ، بخلاف الانسان فى المدينة ، فهو نفسه قد يبدو اشياء كثيرة متناقضة ، ومنقسم بعضها على البعض الآخر !



وعلى كل فان هذا الشعور تقلنى ـ والسيارة تختصر الطريق ـ **الى قرية اخرى بعيدة تسمى الدفراوى بمركز شبراخيت** ـ ففى هذه القرية احسسنا بقسوة الحياة وتشققها وضراوتها ، فالقرية تعتمد على الأرض والأرض فى أيدى القلة ، والقلة تقيم سورا بينها وبين الحياة الميتة ، وهكذا كنا نحس ان عدة « بقع » تغلى بالحياة ، وأن الحياة من خارجها « منفية » وحزينة ، ومشروخة ، ومطرقة ، فاذا أطلت زهرة من على السور ثم حدقت فينا خيل الينا أنها لا تتعاطف معنا ولكنها تسخر منا ، سواء أكانت هذه الوردة متفتحة أم ما زالت ترضع العبير ، وتمص ندى الشمس،فحتى الزهور الصغيرة كان يخيل الينا انها تسخر منا ، وانها تمتنع عن أيدينا ، وعن أنوفنا ، وعن أنفسنا !

واذا أطلت من وراء الأسلاك الشائكة بعض عناقيد العنب ، او اشياء أخرى مستديرة وحمراء ومترفة ، احسسنا بأن هذه الأشياء التى نعرف اسمها والأشياء التى نجهل اسمها لا تنتمى الى عالمنا ، ويدور هذا الخاطر فى أنفسنا فنستريح ونحن نلوى وجوهنا وعقولنا ونواصل الرحلة الى الأزقة الضيقة ، وقد يغلى هذا الخاطر فى أنفسنا فاذا بنا جماعة غاضبة تقفز السور ، وتقتحم الاسلاك الشائكة ، وما هى الالحظات تحلم فيها بطوننا ، وأيدينا بهذا الشىء الذى نعرف اسمه والشىء الذى لانعرف



اسمه حتى تفاجأ «**بعصا الخفير**» الغليظة — التي ربما كانت تحلم هي الأخرى بظهورنا — تنهال علينا ، واذا هناك من يفر وأصابعه على قيد أمل من ثمرة ، ومن يضرب فتقذف يداه بما امتلأتا ، ومن يفزعه الصياح فاذا به يترك بقية من ثوبه ودمه وحزنه على الاسلاك الشائكة ، ومن لم يكن يطمع فى شيء ولكن عملية الاقتحام كانت تغريه فقد ذهل عن الصياح ، وعن تواثب الصبية ، وعن الغضب الذى يقرب منه فى وجه الخفير وفى عصاه ، ومن ثم يكون الطعام الدسم للغضب الذى فى وجه هذا الخفير وفى عصاه ، فاذا اشتعل صياحه ، وانهمرت دموعه ، وجد العصا تتحول عنه الى قلب الشجرة ، واذا شيء يسقط ، واذا يد تمتد ، واذا الوجه الذى كان يمتلىء بالغضب يزدحم بالرحمة والعطف والأسف ، واذا الطفل غاضب لا يقبل هذا الشيء الذى تمتد به اليد التى ضربته ، ولكن وجه الرجل يرق وتصفو ملامحه ثم يتحول الى ابتسامة كبيرة ،الى حد تصور فيه الطفل ان الابتسامة — لا الرجل — هى التى تمتد اليه ، ويتناول الصبى من الابتسامة هذا الشيء المكور المكسو بالحمرة ، ويتخطى السور ، فيجد كل زملائه ينتظرونه ،ويمد اليهم يده الممتلئة، فاذا به يحس أن عيونهم لاتستقر عليها وانما تستقر على وجهه ، وعلى صوته ، ويبتسم فيبتسمون ، ثم يميل بعينيه الى هذا الشيء الذى يملأ كفه فتميل اعينهم كذلك الى هذا الشيء ، ويختلفون على الاسم،ولكنهم لا يختلفون على القسمة ، وبينما هم يضعون نصيبهم بين أفواههم ، يقول واحد « ما أطيب عم الحاج أحمد » ، ويقول آخر « ولكن لماذا يضربنا وبيته فى شارعنا » ؟!

ويهتف آخر « **انه الجنايني** » وتدور أفواههم فترة ، وحين يقول أحدهم : « ولكن آباءنا هم الذين زرعوها واخوتنا هم الذين يجمعون الحصاد » ، حين يقول أحدهم هذا يحسون أن أجزاء الثمرة التى بين أيديهم قد أصابتها المرارة ، وأن هذه المرارة تترك أفواههم لتستقر بعيدا فى قلوبهم وعقولهم !

.. وتظل العربة تختصر المسافة ،وتتجاوز الطريق المرصوف الى طريق آخر لم يرصف ، وحين تستقر العربة عليه ويستنشق أنفى رائحة التراب المختلط برائحة الحقول ، أجدنى أعود مرة ثانية الى تلك القرية البعيدة التى تعشش فى محافظة البحيرة ، وأجد أنى وكثيرين عشنا طفولة قاسية مهملة ، ومحرومة من كل ما يعطى للحياة معنى ،فقد كانت حياتنا يوما واحدا طويلا ورتيبا نصحو فيه ببطء ، ونعيش فيه ببطء ، وننام فيه كذلك ببطء .. ولكن هذا البطء كان يسرع بعض الشيء حين يتعطل جزء من الحياة ، أو يزدهر جزء آخر ،ومعنى هذا أنا لم نكن نحس أننا « نعيش » الا حينما يموت انسان فتجتمع الاحزان ثم تطل برءوسها الصغيرة المدببة من خلال نفوسنا ودموعنا، او حينما يتزوج انسان فنحس احساسا خفيا بأن هذا الزواج يعنى خصب الحياة ، وديمومة استمرارها وبهجتها فى وقت واحد !

ومن خلال هذين « **الموقفين** » كنا نشعر بجزء من حركة الحياة ، ذلك لأنه سيحضر الى القرية مقرىء وأناس آخرون من القرى المجاورة ، ولأنه سيحضر الى القرية كذلك « الطبل » ، وكلمة الطبل

فى قريتى تغنى فرقة « عشيبة » التى تلف البلد بأبواقها النحاسية ، وبراقصة تستعرض فنها على جمل يمشى ومن أمامه المحطبون ، فاذا هبط الليل كان « السامر » وكان الباعة الذين يحضرون معهم أصنافا من الحلوى ، وكان القمر الذى يبدو للأعين كما لم يبد من قبل ، وكان هـذا اللون من الفرح المشنن الذى يتألق فى العيون ، وفى النفوس ، والذى لا يعود الا حين يتزوج أحد الميسورين ، او الذين يقل نصيبهم من اليسر فيكتفون بقضاء سهرتهم مع « مغناوى » جافى الصوت ، ومع « ارغول » طويل يصاحبه ويرسل صوته المصرى الغليظ فى جفاء وفى رتابة محببة . صحيح أن « عم محمد غنيم » كان يحضر « شاعرا » فى كل عام ليقص على القرية قصة « أبو زيد الهلالى ودياب ابن غانم » ، وأن القرية كانت تتنازع فيما بينها لتفضيل أحد البطلين على الآخر ... ولكن كل هذا كان يبدو غريبا على القرية ، ذلك لأن كل هذه الأشياء لم تكن قانون الحياة فيها ، فلقد كان القانون الذى يحكم القرية هو العمل الشاق المضنى ، الذى يحول البشر الى أشباح تستند الى الجدران ، وترسل بين الحين والآخر زفرة ، ما تكاد تنتهى حتى تتبعها زفرة أخرى ، ومن خلال هذا الشقاء لم تكن أذرع الآباء تقوى على حملنا ، ولم يكن فى صوتهم هذا الحنان الذى يزهى الايام ، ولم يكن فى صوتهم هذا البريق الذى يوجد فى أعين الآباء عادة ، ومن هنا فالانسان الآن يجهد نفسه لكى يتذكر ابتسامة ، أو تربيتة ، أو ضمة الى صدر ، أو مسحة على الشعر ، ذلك لأنهم كانوا دائما مجهدين ومحزونين وغاضبين !

وتزيد السيارة فى سرعتها ، فتتضاعف سرعة شريط الذكريات ، وفى هذه السرعة يتذكر الانسان ان طفولته مرت دون أن يحدق فى نور الكهرباء ، ومن غير أن يشرب من ماء غير محمل باشياء كثيرة منها الجراثيم ، وانه كان عليه ان يقاوم كل الأمراض تلقائيا ليثبت أنه جدير بالحياة ، وانه لم يحدث أبدا أن مد أذنه الى الراديو ، أو مدعينيه وأذنه الى التليفزيون والسينما ، أو شرع حواسه أمام لوحة أو تمثال أو قطعة موسيقية !

وتقف السيارة فجاة وأحس انى انصرفت فى جفوة عن الذين كانوا يركبون معى ، وبخاصة زميلى مصطفى فودة الذى كان يجاورنى فى العربة ، ثم ارانى أقف أمام الوحدة الثقافية لكفر الشرفا ، التى تستلقى على شريط يمتد نحو كيلو متر بين الرياح التوفيقى شرقا وترعة الساحل غربا ، وتضم حوالى أربعة آلاف نسمة .

ويأخذنى من مبنى الوحدة أن معماره نابع من البيئة ، وأن طابع « النخلة العربية » يتحرك بين جوانبه ، وأن وظيفة الوحدة مغايرة تماما للمدرسة فهى صورة مصغرة وجانبية « لوزارة الثقافة » ففيها المكتبة ، والمسرح ، واحياء الحرف ، وفيها قاعة الموسيقى ، وقاعة للتلفزيون ، كما توجد بها الوان من الفن التشكيلى .. ولم يسترعنى كل هذا بقدر ما استرعانى الفرح الذى يملأ حدقتى الانسان هناك .

فعل المسرح كانت تمثل مسرحية قصيرة بعنوان « ارضنا الطيبة » بحنان عاطفى وبعفوية لا تمكن الانسان من تحريك هدبيه على العينين ، وفى قاعة الموسيقى كانوا يعزفون قطعا تعتمد على الآلات الايقاعية ، الى حد تصورت فيه أن قلوب هؤلاء الأطفال هى التى كانت ترقرق كل هذا النهر الكبير من الموسيقى .

وفى حجرة الرسم رأيت اعطاء الحرية الكاملة للأطفال ، ورأيت المدرس لا يتدخل الا فى حدود بقاء هذه العفوية ، وفى هذه الحجرة استرعى انتباهى ان طفلا يرسم شخصياته بدون ذراعين ، أو بذراعين

قصيرين الى حد لايتـــاسب حجم الجسم ، ويبتسم المدرس ثم يقول لي : انا أعرف ما تريد أن تقول ، فوالد هذا الطفل مقطوع الذراعين ، وكل شخصياته بشكلها بهذه الطريقة .

•

وفي حجرة المكتبة رأيت رجلا يدخل وهو يحمل بعض المجلات والكتب ، وفي بساطة أراه يشـد انتباهي ، ثم يقول : رأيت أنه لا فائدة لهذه الأشياء في بيتي فأحضرتها الى هنا ، فهذه الوحدة من الآن هي بيتنا كلنا .

وعلى نول صغير وجدت صبيا يملك أنامل بليغة تذكرني بأنامل الكاتب الماهر ، فقد كان يتحكم في حركة « المكوك » ليكمل حرفا من كلمة ، ولينعطف بعد ذلك الى جانب من صورة ، وتتحرك عيناي من يديه الى عينيه فاذا بي لا أعثر على تلك البلاهة التي توجد أحيانا في صبية القرية ، ولكني وجدت شيئا من هذا الذكاء الذي تتمتع به الآن شخصية المنطقة العربية .

وغير بعيد رأيت المسـجد الذي يقوم بعنصر تشكيلي في مبنى الوحدة ، واسترعى انتباهي أن على وجوه الداخلين – وربما على نفوسهم – شيئا من الاجهاد والعرق ، بينمـا يلمع في وجوه الخارجين الرضا والحب والاقبال على الحياة ، أما نفوسـهم فقد كان يخيل الي اني لو كشفت الستر عنهـا لوجدت الكثير من نور الله !

وفي قاعة التليفزيون سـمعت الأستاذ **يحيي أبو بكر** يذكر أن هذه التجربة بدأت في ٢٣ من فبراير عام ١٩٦٤ لتوفر للقرية القوت الثقافي لتكشف عن المواهب وتنميها ، وأن اختيار هذه « القرية السعيدة » لم يجيء عبثا ، فقد كان وراء اختيارها أن هذه القرية كانت جزءا من ممتلكات الخاصة الملكية ، وأن نسبة الأمية فيهـا مرتفعة ، وأنها محرومة تماما من الخدمات الاجتماعية والصحية والثقافية ، ومن هنا كان تجنيد أربعين باحثا وباحثة للعمل على تغيير الحيـاة بالقرية ، ولتنفيذ برنامج يقوم على محو الأميـة اللغـوية في أربعة شهور ، ثم لاقامة مشروع الوحدة وربطها باحتياجاتهم وظروفهم المعيشية ، وقد تم كل هذا بنجاح يغري بعملية تعميم هذا المشروع في أربعة آلاف قرية .

ولقد أعجبتني هذه الطلاقة في المناقشة ، فقـد رأيت فلاحين لا يتمتمون ولا يحركون أيديهم بصعوبة للاستعانة بها في الافهام ، ولا تظهر في وجوههم الذلة حين يناقشون المسئولين ، ولقد بهرني حقا فلاح أخذ يطالب بعودة المثقفين الى القرية ، وبين الحين والحين كان « يغمز » مثقفي قريته الذين يسـكنون في القاهرة أو في القناطر ، ويكتفون بأن يعيشوا لأنفسهم دون أن يحسوا أن وراءهم آباء واخوة يحتاجون الى ضرورة وضعهم في « القرن العشرين » .

« وحين ينفض « **الجمع السعيد** » ، وتنطلق بي السيارة الى القاهرة أرى كل شيء في قريتي يعود الي ثم يحاصرني ، ففيها فتيات يحلمن بماكينات للخياطة ، وأطفال ينتظرون حقيبة من القماش تتدلى من أكتافهم ، وألسـنة تريد أن تكف عن التلعثم ، ورجال في انتظار صيحة « أبو زيد العصر » الذي سينتزعهم من قراهم ثم ينثرهم على آسيا وأفريقية وهو يرتجل الشعر ويغني به للحب وللحياة :

وتسرع السيارة ، فتتخلخل الصور ، ثم تبعد ، ثم تضيع تماما في الوقت الذي تكون فيه قد وصلت الى المدينة ، ومن جديد في المدينة – يقضي الانسان وقته – في مدافعة القلق والخوف ، والموت ، وهبوط الظلام في الليل وفي قلب النهار !

« **عبده بدوي** »

كاد النعام يطير

بقلم : محمود محمد شاكر

- ١٦ -

لا بأس اذا أنا استمرأت الراحة ، وجعلت هذه الكلمة أيضا جماما من تعب ، فان الحمى قد أضرعتنى للملل ، فوق الملل الذى كنت أجده من مدارسة تاريخ العصر القريب ، منذ عهد نابليون ومحمد على الى أيامنا هذه ، لكى أعد المقالة التى وعدت القراء بها ، وجعلت عنوانها « **اباطيل واسمار** » • وأنا مفطور على الملل من السخف المتشابه ، وأشد مللا من الغفلة عن ادراك هذا التشابه المتتابع ، فاجتمع على من الملل ، ما آثرت معه أن أتخفف من الضيق والجد وضراعة الحمى ببعض الباطل • أليس من حقى أن أستلقى على ظهرى ، وأضع ساقا على ساق ، وأجمع كفى مشبكة أصابعهما من وراء رأسى ، وأخلع نظارتى وأغمض عينى ، وأتحدث على السجية غير متكلف ولا محتشم ؟ انه من حقى أن أفعله ، بين أهلى وزوارى وأصحابى ، بلا ريب • فاذا كان ذلك ، فينسحب عليه أنه من حقى أيضا أن أفعله على الورق ! بين قرائى وأهل مودتى ممن يقرأ الرسالة ! أليس كذلك ! وهكذا الدنيا ! والا فمعذرة ، فهكذا أنا ، رضى القراء ذلك منى أو كرهوه !

وخطر لى أن أقول للناس : « **كاد النعام يطير** » ، بل قد طار ، ثم أقص قصة وقعت ورأيتها بعينى ، على أن أرويها ، وعليهم أن يصدقوها • ولم لا ؟ أليس النعام طائرا ذا جناحين ؟ فما يمنعه أن يطير ؟ ومن الذى يملك أن يكذبنى فيما أقول ؟ ومعى هذا الصدق ، وهذا المنطق ؟ وقد وجب ذلك ، لأنه زمان عجيب ، ولأنى لو حدثتك أن انسانا نظر فى المرآة فلم تعجبه سحنته ، فانطلق عامدا الى أقرب دار للتجميل ، فدخل وخرج بعد ساعة وسيما وضيئا راضيا عن نفسه ، قد عاد مسنون الوجه بعد استدارة منفرة ، أحور العينين بعد جحوظ وحول ، أشم العرنين بعد الفطس ، أظمى الشفتين (أى رقيقهما) بعد الهدل (أى بعد غلظهما واسترخائهما كشفاه الزنج) ـ لو حدثتك بهذا ، وأنى رأيته كذلك ورأى نفسه كذلك ، لما كان شيئا عجيبا ، ولوجب عليك أن تصدقنى ، لأن الزمن الذى كان يقال فيه : ان « الخبر » هو الكلام الذى يحتمل الصدق والكذب ، زمان قديم كان يحتمل « اللت والعجن » • ونحن فى زمان الى التبسيط ما هو ، والى السرعة ما هو ، فمن التعقيد واتلاف الوقت أن تجلس مجلس القنابلة ، لا عمل لك الا ابتغاء تكذيبى ، والا استهلاك نفسك وعقلك وزمانك فى تقليب الكلام وتشقيقه وتفصيصه ، تزعم أنك تريد أن تميز الصدق من الكذب ، والخبيث من الطيب ! أليس كذلك ؟ نعم ! هو ذاك ورب الكعبة ! لا ولا تنس أيضا أن الذى يحدثك بهذا رجل **مذكور** غير مغمور ، وهو عند الناس رفيع القدر ، مشهود له بالعلم وصدق الكلمة ، وهو أيضا متقادم الميلاد ، قد حلب الدهر أشطره ، عرف وجرب ، فمن سفه الرأى أن تلجأ الى المماحكة طلبا لتفنيد مايقول ، فصدق ، وتوكل على الله !

أوه ! ضاق صدرى بهذا الكلام ! وندع هذا لنتحدث فى ضرب آخر ، ولا أجد شيئا يمدنى بما أريد (فى مثل هذا الموقف !!) سوى صحيفة الأهرام • ولاسيما اذا كان يوم جمعة ، فان بركة المستشار الثقافى شاملة غامرة • قد عمت وطمت !! وقرأت فيها كلمة عليها توقيع الأستاذ الكبير **توفيق الحكيم** بخط يده محفورا على الزنك ، وجعلها مقدمة للورطة • وان كنت لا أدرى : الورطة ، هى المسرحية ذات الفصول الخمسة ، أم هذه المقدمة ؟ وصدقنى اذا قلت لك : لا أدرى ، فان الأمر قد

اختلط على اختلاطا شديدا . لا أملك معه سوى التوقف ، والتماس المعونة من معين . وبالطبع أنا لا أملك شيئا سوى عقلي ، وعليه اعتمادي في الملمات . قرأت كلمة الاستاذ الكبير بعناية فائقة ، ولا داعي للقسم ، وحاولت أن أعتمد على « عقلي » مرات ، مرة بعد مرة بعد مرة ، حتى تعبت ، وكدت استعفى من اصراري على استخدام « العقل » ، وراودتني نفسي أن أقوم فأذهب الى لويس عوض ، وأسأله أن يرفدني ويعينني ببعض هذا « السائل » الذي أغلقت عليه جمجمته ، فاني رأيته نافعا للفهم ، ميسرا للطبيعة ، صالحا معينا على ادراك الخوافي والغوامض ، (مجرب) ، كما يقول الطبيب ابن البيطار في مفردات الأدوية ! اذا وصف للمرضى دواء ناجعا شافيا ! ومرة أخرى : أوه ضاق صدري بهذا الكلام !

على رأس « ستين مسرحية » ، كتبها « **توفيق الحكيم** » ، لم يزل يحاول ويبحث عن حل «لمشكلة اللغة المناسبة للتمثيلية العصرية في بلادنا » ! مع الرجاء « من كل صاحب رأى في المشكلة ، ايجاد حل عملي ، لا أن يكتفي بالاعتراض الكلامي ، فالآراء السلبية لن تقدمنا خطوة . نحن الآن أحوج ما نكون الى الحلول الايجابية التي تقترن بمشروع بناء ، ومحاولة فعلية للمعاونة على ايجاد مخرج لما يواجهنا من مشاكل » . وهذا نص كلامه . ولا أدرى علام كل هذا ؟ أليس الأستاذ قد وضع الحل ، قبل أن يختم كلمته بهذا الرجاء ؟ والمسألة سهلة جدا ، لا أدرى كيف غابت عن الناس منذ تكلم بها المبشرون الاوائل ، من سبيتا ، الى ويلككس ، الى لطفي السيد ، الى سلامة موسى ، الى لويس عوض ، وذيول بعد ذلك ، وفي خلال ذلك ، كثيرة !

مسألة بسيطة ! فان أهل اللغات الحية ، كما يقول الأستاذ ، (وهم بالطبع أذكياء جدا ، وذوو بصر ومعرفة) طالما عيرونا بأن لغتنا العربية صائرة الى زوال ، لأن الناس في تخاطبهم لا يتكلمونها ! وهذا انذار أشرنا اليه آنفا أنذرنا به المبشرون مثل سبيتا ولاسيما ويلككس المبشر ، محافظة على حياتنا وحياة اللغة العربية ! ويقول أيضا ان أهل المصلحة منهم (يعنى ذوى الأغراض السيئة) يمعنون في ايهامنا بعمق الهوة بين الفصحى والعامية . وهذا - أيضا مما قالوه جميعا وأشرنا اليه آنفا !

ولكن الاستاذ الجليل فكر كثيرا ، وانتهى الى أن الواقع الذي لاحظه اليوم ، ولاحظه كثيرون ، هو عكس هذا الزعم ، فالعامية هي المقضى عليها بالزوال ، والفارق بينها وبين الفصحى يضيق يوما بعد يوم ! وكفى الله المؤمنين القتال ! ثم أخذ يدلل على ذلك بأدلته الكثيرة ، بمهارة وحذق واتقان ، ليزيل الوهم ، كما قال ، « بوجود لغتين منفصلتين تقوم بينهما هوة سحيقة ، فان هذا الاعتقاد هو الذي جعل كثيرا من كتابنا يمعنون في تعميق الهوة بدون مبرر أحيانا ، لا لشيء الا لتأكيد انفصال العامية واظهارها بمظهر اللغة المستقلة » . وخلص الى شيء سهل جدا هو : « أنه يرفض الاعتراف بوجود لغة منفصلة مستقلة اسمها العامية ، نترجم اليها العربية ، كما لو كانت لغة أجنبية ، في حين أن الموجود هو مجرد لهجة تخاطب عربية ، استخدم فيها بعض الرخص ، والاختزالات ، والاستبدالات ، كاستعمال الحاء بدل السين في الفعل المستقبل ، فتنطق : حاكتب ، بدل ساكتب ، والحاق الباء بالفعل المضارع تأكيدا للحاضر ، مثل : بيكتب ... وهي على كل حال ليست من الضخامة التي تبيح الزعم والاعتقاد بوجود لغة مستقلة منفصلة عن العربية ... واني كلما شغلت نفسي بملاحظة بعض المتكلمين عندنا ، وجدتهم على غير وعى منهم (هكذا والله العظيم) ، قد نطقوا لغة عربية سليمة ، تكاد تقترب من لغة الكتابة ، فيما عدا ترك الاعراب ، ونطق القاف في قال ، ويقول ، بالهمزة ، أو الجيم ، حسب المنشأ والمنطقة ... فالهوة اذن ليست سحيقة الى هذا الحد الذي يبيح العمل على تعميقها ، وشطر اللغة الواحدة شطرين ، وجعلها لغتين ، وقسم الشعب شعبين ... » .

ولا أدرى ، مرة أخرى ، ماذا أقول ! فمنذ أكثر من خمسين سنة ، كتب المبشرون مثل هذا الكلام ، وأعاد ترديده في سنة ١٩١٣ لطفي السيد ، وسماه « عقد الصلح بين العامية والفصحى » ، ولم يزد عليه الاستاذ الكبير قلامة ظفر ، فاذا كنا بعد خمسين سنة لانزال نردد أقوالا ، ونضع مشروعات ، قد أكل الدهر عليها وشرب ، وتكلم فيها الناس كلاما كثيرا ، فماذا يعنى هذا ؟ يعنى أننا نتوارث ألفاظا نديرها في حلوقنا ، ثم نرجعها على الآذان أو في الورق ، بلا أدنى محاولة للنظر والتفكير والاحاطة والاستيعاب . ولم يزد عمل الاستاذ ، على أن جلس

ساعة وفكر ، ثم أرسل اللغة العامية الى دار التجميل، فلما عادت قال لنفسه هذه هي الفصحى ! وقال لنا : هذه هي الفصحى، ولا تجادلوا لأن الأمر لا يحتمل الجدال ، وقد جئتكم بالأدلة ، « ونحن اليوم بسبيل بناء أمة موحدة في التفكير والعمل ، ونتحدث عن اذابة الفوارق بين الطبقات (الله ، الله) ، فكيف يتم ذلك بغير اذابة الفوارق في لغة التخاطب » !! وللتدليل أيضا أنشأ « الورطة » مسرحية في ٥ فصول » ، فاذا هي أشبه شيء ، بالفصحى ، (وان كانت بصريح العامية) ، وينبغي أن نصدق ذلك ، أولا لأن العامية لغة عربية ، والفصحى لغة عربية ، كما أن النعامة طائر ، والعقاب طائر ! هذا له جناحان ، ولها هي أيضا جناحان ، واذن فهما شيء واحد أيضا • فما هذه المشاكل التي ينشئها الراغبون في اقامة الحواجز ، وفي القضاء على كل تشابه بينهما ، وفي تشويه معالم اللغة العربية ! كما ينشئها أيضا هؤلاء «المتقعرون» ممن يحلو لهم تجنب الشائع الصحيح ، لمجرد أن العامة عرفته ! مسألة بسيطة !

وليس من همي الآن أن أناقش في بيان فضيلة هذا المشروع الجليل ، وليس هذا أوانه ، وسيأتي أوانه في بعض المقالات ان شاء الله ، وان كان الأستاذ الدكتور **علي عبد الواحد وافي** ، قد أكثر وأجاد فيما كتب عن هذه الفروق التي يزعمها الناس بين العامية والفصحى ، ولايزال يعمل ، ولكن الأستاذ الحكيم ، غير مكلف بالاطلاع على شيء من ذلك ، لأنه كاتب عظيم القدر ، رفيع الذكر ، قد مارس هذا الأمر دهرا طويلا استغرق ستين مسرحية ! هذا فضلا عن كونه عضوا في المجمع اللغوي ، فليس عليه أن يطلع على مايكتبه عامة الناس ، وليس من حق أحد أن يستدرك عليه مايتكلم به في اللغة !

ولكن بسوء خلقي ، وبما فطرت عليه من العناد والمماحكة ، وبما آتاني الله من الغرور والجرأة ، وبطبيعة مولدي من أبوين صعيديين ، وبالجذور الممتدة الى « عرق الثرى » ، وهو أبي اسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمن عليهما السلام ، أحب أن أناقش الأستاذ الكبير ، لا في مشروعه العظيم ، ولا في الفروق بين العامية والفصحى ، بل في أدلته التي جاء بها • وان كنت ، بلا شك أيضا ، ممن يعترف على نفسه (والأمر لله) بأنه يحب أن يتكلم فيما لا يعلم قوة واقتدارا ! وسأتخير بعض هذه الأدلة ، لا على وجه الاستقصاء ، ولا على الترتيب المنطقي البديع المتقن ، الذي هو أحسن بدعا وأشد اتقانا ، من « حوار الحكيم » الذي اشتهر به عند الناس •

فمثلا ، يقول الأستاذ الكبير في بعض أدلته على جواز الغاء الاعراب في الحوار التمثيلي العصري المنطوق والمكتوب : « وتسكين الأواخر ، أي الوقف بالسكون وعدم الاعراب (وهذا أسلوب فصيح جدا)، هو أيضا من صفات لغة التخاطب السريعة في كل أمة عربية (شيء عظيم أيضا !) ، ولعل الأمر كان كذلك أيام العرب القدامى (خذ بالك) ، في أوج حضارتهم • فقد كان يقال : « **سكن تسلم** » • وما نحسب الكلام والتخاطب في الاسواق في أيامهم كان باعراب أواخر الكلمات • فالتسامح اذن ، (وهي نتيجة منطقية ، ولا يؤاخذني القارىء في اقحام نفسي فهذه شيمتي كما وصفتها) ، في الوقف في الحوار التمثيلي العصري المنطوق والمكتوب ، يجب أن لايقدح في عربية اللغة وسلامتها (بالطبع ، وكيف لا يكون ذلك كذلك) ، وقد قال ابن الأثير في كتابه « أسد الغابة » : ان اللحن لا يقدح في بلاغة أو فصاحة » •

وليس أحد ، بالطبع ، أيضا ، أعلم بأخبار قدامى العرب من أستاذنا الجليل ، الا يكن لطول تحصيله ، فلكونه عضوا في المجمع اللغوي ، فهو بلا شك يعلم مايقول ، وان كان أمثالنا لم يعرفوا لم قيل « سكن تسلم » ، فأتانا بالأمر من فصه ، ودلنا على أن هذه الكلمة ، قيلت لتكون منهاجا يسير عليه المتكلمون ، والكاتبون أيضا ، وكنا نظن ظنا ، والظن في هذا الأمر ، لا يغني من الحق شيئا : انها قيلت في رجل قرأ كتابا فظل يلحن ، فيراجع ، فيلحن على وجه آخر ، فلما ضاق سامعه به قال له : «سكن تسلم» ، يعني ، باللغة العامية : (ريحنا ، يا أخي !) ، ولكن هذا ظن ، والعلم عين العلم ، هو الذي جاءنا به الأستاذ ، فحق علينا أن نترك الظن المتوهم ، الى اليقين الثابت ، وقد فعلنا ان شاء الله ، ورضي الله عن الأستاذ •

أما الدليل الآخر ، فهو كلام ابن الأثير ، وهو حجة قاطعة في هذا الأمر • وبخاصة أن كتاب « أسد

الغابة » ، الذى ذكره الأستاذ ، كتاب عظيم جدا درس فيه صاحبه مسائل اللغة والفصاحة والبيان ٠ وقد كنا نسمع من شيوخنا ، رحمهم الله وغفر لهم ما أساءوا من تربيتنا على الجهل ، أن هذا الكتاب الجليل ، هو للحافظ عز الدين أبى الحسن على بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيبانى ، المعروف بابن الأثير الجزرى ، ألفه فى ذكر الصحابة وتراجمهم وأخبارهم (ولد سنة ٥٥٥ ، وتوفى سنة ٦٠٣) ، كان هذا ما علمناه سماعا ، فالآن ينبغى ان نصير الى قول الثقات ، لنعلم أن شيوخنا قد ضللونا عن الحق ، استهانة منهم بالعلم ٠ ولولا أن الاستاذ ، أبقاه الله ، أراد لنا أن نصحح أخطاء شيوخنا ، لما ذكر اسم الكتاب نصا ، ولاقتصر فقال : « وقد قال ابن الاثير: ان اللحن ٠٠٠ » ، دون أن ينص ٠ وهل يعقل أن يكتب احد أعضاء المجمع اللغوى شيئا الا لهدف ، من اصلاح خطأ شائع ، أو ازالة وهم سابق ، أو اذابة فوارق يمليها الجهل والتقعر ؟

ومن جهل شيوخنا ، غفر الله لهم ، أنهم حين علمونا ، زعموا أنه كان لعز الدين أبى الحسن على ابن محمد ، هذا أخ آخر يقال : « ضياء الدين ابو الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيبانى » ، ويعرف أيضا بابن الاثير الجزرى ، وزعموا أنه ولد سنة ٥٥٨ ، وتوفى سنة ٦٣٧ ، وانه الف كتابا يقال له : « المثل السائر » ، فى أدب الكاتب والشاعر ، وهذا خلط قبيح ، فليس هذا الكتاب فى أدب الكاتب والشاعر ، كما عرفنا اليوم ، بل هو فى موضوع آخر ، لعله علم التاريخ ، ولعل صوابه « المثل السائر ، فى أخبار الاوائل والاواخر»! هذا أكبر ظنى ، لأنه ينبغى أن نتعلم كيف نحسن الظن ، وكيف لا ، والظن أعلى مراتب اليقين ، اذا احسن الانسان كيف يظن ، ويقول « لعل الامر كان كذا وكذا » ، وحسبك ما قاله أوس بن حجر فى رثاء صديق له من الاذكياء :

الألمعى الذى يظن بك الظن ، كأن قد رأى وقد سمعا

ومن سوء تربية هؤلاء الشيوخ ، ولا ندرى أنستغفر لهم أم نسىء القالة فيهم ، أنهم زعموا أن ابن الاثير هذا ، قال: ان النحو يقع فيه الخطأ كثيرا ، لاف الذى يخفى منه ، بل فى الظاهر المشهور ، وضرب على ذلك مثلا ببيت المتنبى فى صفة ناقة :

وتكرمت ركباتها عن مبرك
تقعان فيه وليس مسكا اذفرا

فجمع فى حال التثنية ، لان الناقة ليس لها الا ركبتان ، فقال : « ركبات » ، وهذا من أظهر ظواهر النحو ، وقد خفى على مثل المتنبى ٠ وقد كنا نجادلهم فى هذا الذى قاله ابن الاثير ، ونقول لهم : ان الله تعالى يقول فى سورة التحريم : « ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما » ، فجاء الجمع ، فى حال التثنية ، وندعى أن هذا الذى قاله المتنبى هو الصواب المحض، لان المثنى أكثر من واحد ، فهو بمنزلة الجمع ، وما دامت الناقة ليس لها الا ركبتان ، ولا يتوهم ان يكون لها أكثر من ركبتين ، فاستعمال الجمع مراد به التثنية بلا ريب ولا اشتباه ، كما فى الآية ٠

ثم ان ابن الاثير هذا ، فيما زعموا ، عقب على ذلك فقال : « ومع هذا ينبغى أن تعلم ان الجهل بالنحو ، (بهذا النص ، والعمدة عليهم) لايقدح فى فصاحة ولا بلاغة ، ولكنه يقدح فى الجاهل به نفسه ، لأنه رسوم قوم تواضعوا عليها ، وهم الناطقون باللغة ، فوجب اتباعهم » ٠

ولا ندرى كيف علمنا هؤلاء الشيوخ مثل هذا الكلام الفارغ؟ ولا كيف نسبوا مثل هذا الهراء الى ابن الاثير ؟ وأوهمونا أن الخطأ فى النحو « جهل » ، وأن هذا المخطىء فى النحو « جاهل » يقدح فيه خطؤه ! انهم قوم متقعرون ، لان الاستاذ الحكيم قد روى لنا حقيقة ما قال ابن الاثير على وجهه فقال ما نصه : « ان اللحن لايقدح فى بلاغة أو فصاحة » ، ومعنى ذلك أن الكلام الذى ترفع فيه المفعول وتنصب الفاعل ، وتنطق فيه الاعراب سكونا ، وتقلب الذال فيه دالا ، وتجعل « الذى » (اللى) ، وتقول فيه « ليه » ، مكان (لماذا) أو « لم » على الاصح) ، وتجعل الثاء مرة تاء ، ومرة سينا ، فتقول « تالت » فى « ثالث » ، و (سابت) فى « ثابت » الى آخر هذا، كله فصيح قاعد على يافوخ اللغة ، أو ناشىء فى حضنها ، ولا ينبغى التخلى عنه لجهل هؤلاء الشيوخ الجهلة ٠ ولولا أن هؤلاء جميعا جهلة ، ضربة لازب ، لصححوا أولا الكلمة على ماورواها لنا الاستاذ توفيق

الحكيم ، لأنها هى المنطق الصريح المعقول ، ولاستدلوا بها على أن هذا الذى يدعيه المدعون من الأخطاء النحوية فى كلام بعض الشعراء والكتاب ، ليس خطأ، بل هو اذابة للفوارق بين لغة التخاطب ، ولغــة الكتابة والشعر ، سبقوا به الاشــتراكية بدهور طوال ، فى « اذابة الفوارق بين الطبقات » !!

وأما ما حدثونا به عن الشيء الذى كتبه ابن الأثير، عن التفريق بين مفهوم معنى لفظ « الفصاحة » ولفظ « البلاغة » ، وجعله (الفصاحة) أمرا متعلقابالالفاظ من حيث الحسن والقبح ، و «البلاغة» متعلقة بتركيب هذه الالفاظ الحسنة ، لبلــوغ اقصى غاية المعنى المطلوب ، وأنه من أجل هذه المسالة فى التفريق قال: ان الخطأ فى بعض النحو ، لا مدخل له فى «الفصاحة» أو فى « البلاغة » من هذا الوجه ، لانه مقحم على المسالة الى كلام كثير قالوه ٠

ـ أقول : هذا كلهعبثمنهم ، غرروا بنا وأضلونا وأدخلونا مداخل تضيع الوقت وتستهلك العقول ، بلا محصل يرجو الانسان من الالحاح عليه خيرا لاقليلا ولا كثيرا ٠

وكذلك تكون النتيجة المنطقية أن هــذا « **اللت والعجن** » فى مسالة العامية والفصحى ، انما هــو مضغ للالفاظ بلا فائدة ، وأن العامية التى يزعمون ، ليست الا الفصحى نفسها ، سليمة صحيحة لا عيب فيها ٠ وكل ما فى الامر أننا أخذنا ببعض « الرخص، والاختزالات ، والاستبدالات ، وعــدم الاعراب » ، وفتحنا ما ينطق مضموما فى الفصحى ، وكسرنا ماهو مفتــوح ، وضممنا ما هو مفتوح أو مكسور ، وان استغرق ذلك كل كلمة فى العبــارة التى تلقى فى المسرح ، أو فى المدرسة ، وبذلك زالت الفجــوات ، وذابت الفوارق ، ، وعاد ما يسمونه عاميا سوقيا مبتذلا ، فصيحا معرقا فى الفصاحة ! وانتهى الامر٠ ولا يضر أبدا أن يختلف الناس فى ذلك أيضا ماشاء لهم الاختلاف ، وأن يتــكلم المصرى ، غير ما يتكلمه الشامى ، غير ما يتكلمه أهل الجزيرة ، غير ما يتكلمه المغربى ، غير ما يتكلمه السودانى ، غــير ما يتكلمه العراقى ، ما داموا جميعا عربا قد اتحدوا ، أو هم فى طريقهم الى الوحدة ، فكل ما يتــكلم به المتكلمون من هؤلاء وغيرهم جائز ، وهــو فصــيح لا شــك فى فصاحته ، وكيفَ لا ، وهم جميعــا عرب ٠ فاذا

قلنا : لا ، ليس الامر كذلك ، كان ذلك حجــة على خيانتنا للمبادىء ، وانكارنا للوحدة العربيــة ، لان معنى ذلك أننا ما دمنا نقول ان اللغة التى يتكلم بها الشعب ، ليست من العربية الفصحى ، فالشــعب المصرى اذن ليس بعربى ، والسودانى ليس بعربى ، والعراقى ليس بعربى ، والمغربى ليس بعــربى ٠ فهذا من أظهر الادلة على أن الذين ينفون عن عامية هذه الامم جميعا أنها عربية ، انما يخونون قضــية الوحدة العربية ، وينسفونها من جذورها !!

كيف لا وهؤلاء الذين يدعون أنهم يدافعون عن الفصحى ، قد خانوا الامانة ، وكتمــوا العلم ، وتجاهلوا أن الامر منذ قديم كان كذلك ، وكان على هذا الوجه نفسه ، وانما هم أحــدهم أن يجلس على الكرسى ، ويضــع ساقا على ساق ، ويتكىء على عصاه ، ويسرح فى ملكوت الله ، ثم ياتى يعترض الناس بمثل هذا التظاهر بالدفاع عن الفصحى ، وهو لايريد الا توسيع هــوة الخــلاف ، مع تمام علمه بالدليل القاطع ، الدال على فساد رأيه ، ولكنه يكتم هذا الدليل ، مع وضوحه ، وقرعه أسماعنا بالليــل والنهار ، فى التلفزيون ، وفى الراديو ، وفى الموالد ، والمآتم ، والافراح ، حيث يقرأ القراء القرآن بالقراءات السبع ، وفى ذلك أوضح الدليل على أن « لغتنــا العربية من قديم ، كان المنطوق فيهــا المخــالف للمكتوب ، أمرا شائعا » ! وهــذا أمر يعرفه الذى دارس « الاحرف السبعة » التى نزل بهــا القرآن ، ولكن المستخفين المستهينين العابثين ، الذين لايرعون لشىء حرمة، يتغاضون عن هذه الدراسة ، ويتكلمون بما يفضى الى ايجاد مشكلة لا أصل لها ، فيها تفريق قبيح يجعل الشعب الواحد شعبين ، بل شعوبا لا عد لها ، بقدر ما فى الشعوب العربية من الاختــلاف فى نطق الالفاظ وتركيبها ٠

وماذا يريد هؤلاء المفسدون ؟ أيريدون أن تبقى العربيــة ، دون لغات الناس جميعا ، (وهــذا شىء لا شك فيه ، وان خالفه الواقع فى كل أمة عند هؤلاء المفسدين) ، لغة مكتوبة ومنطوقة أحيانا على هيئة عند «المثقفين» ، ومنطوقة على هيئة اخرى عند غير « المثقفين » ؟ وما معنى أن تبقى « الثاء » ، و « الظاء » و « الذال » التى تخرج فيها اللسان ، وقد بادت من لغات الدنيا جميعا فالانجليزى الآن لا يقول « ذى » ولكن « زى » ، ولا يخرج للناس لسانه ! وما معنى

الفرق بين الجيم المعطشة وغير المعطشة ؟ الى آخر هذا الهراء كله ، وقد مضى المثل ، فان « المؤلفين المسرحيين فى أوربا فى العصور الماضية ، كان لهم فضل الارتفاع بلغة التخاطب فوق المسارح ، مما جعل الناس يحاكونها فى حياتهم اليومية » ! وكانت وسيلتهم الى ذلك أنهم استعملوا « الرخص والاختزالات ، والاستبدالات ، وطرح تكاليف قواعد لغتهم » ، وجعلوا لغة العوام غير المتعلمين ، هى اللغة التى يمثل بها ، ويكتب بها ، ويدرس بها فى المدارس . وهذا شىء يعرفه كل من سافر الى أوربا ، ودرس لغة كل قوم من أقوامها ، واطلع على الطريقة التى تدرس بها جميع العلوم . فالقوم هناك متساهلون ، لايلزمون أحدا ، لابنحو ، ولا بصرف ، ولا بمخارج ألفاظ ، ولا بكل هذا الهراء الذى يتبجح به المتصدرون للفتوى ، المدعون أنهم انما يدافعون عن الفصحى ، وعن كيان الامة العربية ، وهم فى كل ذلك كذبة مبطلون !

وإذن ، فعلينا نحن أن نفعل كفعلهم ، حتى تكون لغتنا كلغتهم لغة حية ، فنقذف بكل هذا الذى ادعوه من النحو ، منذ سيبويه ، الى الاشمونى ، وبكل هذا الالتزام الكاذب بالذى يسمونه « مخارج الالفاظ » ، ونلزم الناس بأن يقرأوا المكتوب ، بلا جيم معطشة ، وبلا اخراج لسان فى الثاء والظاء والذال ، وبلا مبالاة بمرفوع أو منصوب ، وبلا نظر الى ما يقولون فى كتب اللغة ، كذا على وزن كذا ، فان هذا التقييد ضار أشد الضرر ، متلف للوقت ، مضيع للجهد ، بل هو أحيانا سوء أدب ، فكيف تخرج لسانك للناس مثلا ؟ أهذا أدب ! ولماذا تتقعر فى نطق القاف مثلا فتقول : (قرأ) ، والاسهل والاحسن (أرا) وتقول (الحقائق) والجيد فى لغة التخاطب (الحائئ) ، الى أشياء لاتزال باقية ، ينبغى أن تتناصر جميع وسائل الاعلام على ازالتها لاذابة الفوارق بين طبقات الناس من ناحية ، وطبقات كلمات اللغة من ناحية أخرى ! والا بقيت لغة طبقية، فيها ما ينطق مرة بالقاف ، ومرة بالهمزة ، ومرة بالتاء ، ومرة بالسين! هذا هو المنهج ، ومن ظن أنه يريد الاعتراض ، فهو « اعتراض كلامى » ، و« رأى سلبى » ، مع وجود هذا « الحل الايجابى » !

يؤسفنى أن أذهب هذا المذهب ، ولكن ماذا أفعل، اذا كنت لاأزال رجلا ممن يعد نفسه مدافعا عن اللغة ، ولا أجد مناصا من الزام نفسى باتباع طريقة الاستاذ ، مع بعض التصرف ، لانى أعد عضوية المجمع اللغوى ، صفة ملزمة لى باتباع سبيله ، وهو قد كتب ما كتب دفاعا عن اللغة ، فلا أقل من أن أكون له ناصرا فى هذا الذى « حارت البرية فيه » !! وأنا امرؤ أكره التساهل لنفسى ، وأكره الاستخفاف ، فلذلك تناولت حله لهذه المشكلة بلا استخفاف وبلا استهانة ، بل بجد واقتناع ومدارسة ومذاكرة ، لكى تنقشع عنى هذه الغمامة التى طمست عقلى ، بسوء تربية هؤلاء الشيوخ القدماء ، الذين حرفوا الكتب، وأفسدوا النقول ، وزادوا فيها ونقصوا ، وحرفوا وبدلوا ، ولم يبالوا بالامانة ، ولم يعلموا أن المعلم مؤتمن ، وأنه ينبغى أن يؤدى الامانة على وجهها الى الجيل الذى يليه ، بلا تلعب بالنصوص ، ولا نقل لها عن مواضعها التى قيلت فيها . لان هذا المسلك قبيح جدا ، وكان لا يليق بهم ، ان كانوا حقا من أهل العلم ، ومن محبى الحق ، ومن الداعين الى الاصلاح.

ورحم الله شيخ المعرة اذ يقول :

من يبغ عندى نحوا أو يرد لغة
فما يساعف من هذا ولا هذى
يكفيك شرا من الدنيا ومنقصة
أن لا يبين لك الهادى من الهاذى

« محمود محمد شاكر »



البيعة

للشاعر: محمود حسن اسماعيل

بايعت فجرا .. شع فى جبينى
ومزق الاطراق من جفونى
وشل خطو الذل فى يقينى
وكنت فى ذاتى كالسجين
ادور فى دوامة الأنين
والقيد من صريره يسقينى

***

شع السنا .. واضرم النواظر
فاحرقت خطاه كل جائر
ونورت طريق كل حائر
وحررت جبين كل صاغر
من ساق هذا النور للمحاجر ؟؟
سل جبهتى «واسمع..ضياء«ناصر»

***

بايعت خطوا .. شق ليل قريتى
وفاسها حيران حول زهرتى
يسالها جوعان : أين لقمتى ؟
وكل عطر فيك ، كان دمعتى
وكان صبرى ، وانتظار تقرتى
فى الأرض ، تعطينى حصاد غلتى ؟

***

وظل يرنو ليد البيادر
وهى ترد الفاس للحفائر
لتنخم القصور والحظائر
فصاح فيها صيحة المقادر
زدى لساقيك جنى الأزاهر
فدوت الحقول ، والمخاضر
والفاس ، والفلاح ، والمعابر
قالت من السارى ؟ فقلت : « ناصر »

***

بايعت نارا .. وهجها خلود
ترنمت ترويه « بر سعيد »
على سناها كبر الشهيد
وانتحرت من يأسها القيود
ومن صداها ارتعد الوجود
وانسحق المستعمر العنيد ...

***

وسبحت بنصرها المنائر
وصيحت بصيتها المنابر
وأصبحت أيامها شعائر
يشدو بها التاريخ فى المفاخر
ولليالى يشعل المباخر
وكلما اشتاقت بها المجامر
رش لها اللهيب قلب « ناصر »

***

بايعت طودا .. فى ربى « أسوان

معجزة الاصرار للانسان
وشمخة الأقدار ، فى بنيان
دك صروح البغى والطغيان
وقام كانتفاضة الزمان
كفارس فى حومة الطعان

***



لم يبق للامان وجه غادر
ولم يبال دورة المصائر
داس اللظى . وانقض فى الدياجر
على قوى الشر العتى الفاجر
كفنها فى غزوها المقامر
وردها تطحنها الدوائر ...
وقبلة الشمس . تحيى الظافر
بجبهة السد ، بفرحة « ناصر »

***

بايعت حقا .. عاد للأنامل
وهى تذيب الظلم فى المراجل
من كف صناع ، وكف عامل
تشق درب النور بالمعاول
وتحصد الظلام بالمناجل
وتسكب الروح على المشاعل

***

زيتا يضىء درب كل سائر
وانجما تهدى لكل حائر
من سيد الآلة وهو ساهر
يجنى قطاف النور للنواظر
ذاب الأسى واخضرت المشاعر
ورفرف الحق لكل عائر
لبيك عادت نجدتى « بناصر »

***

بايعت كل نبضة فى بدنى
وكل نور فى دروب وطنى
وكل زحف للضحى قربنى
وكل صحو رد كبر زمنى
وكل عهد من يقين مؤمن ...

***

فكلها .. من كل حر ثائر
وكلها للغد .. روض عاطر
وكلها للشعب .. نبع زاخر
وكلها للعرب .. فجر هادر ..
على فلسطين له بشائر
مهما تغب .. لا بد أن تبادر
وكلها عهد لعهد ناصر
بايعتها للحق .. باسم « ناصر »

دور الأديب العربى

فى دعم القومية والوحدة العربية

بقلم : محمد خلف الله أحمد

عضو مجمع اللغة العربية

حين يثار النقاش في دور الاديب العربى فى كفاح امته ، تقفز الى الذهن بضـــعة أسئلة تتطلب البحث والمعالجة :

اولهـا : ان الأدب الحـق هو ما كان فيض الاحساس الصادق والتجربة العميقة. فهل للاديب دور غير أن يحس وينفعل ، فيعبر تعبيرا حرا صادقا جميلا ؟

الثانى : ان الأديب مواطن ، وليس لأى مواطن أن يتخلف عن الصفوف حين تخوض أمته معركة من معاركها الشاملة الحاسمة ، فماذا يستطيع الأديب بصفة كونه أديبا ان يساهم به في معركة الوحدة والقومية العربية ؟ واذا كان هناك دور يجب أن يقوم به وقصر فيه ، فهل للمجتمع ان يلزمه بادائه ؟ وهل يمكن التوفيق بين حرية الأديب وهذا الالزام من جانب المجتمع ؟

الثالث : ما مدى ارتباط الأديب العربى بحيـاة مجتمعه خلال العصور ؟

الرابع : ما الدور الذى قام به الأدبـاء العرب في كفاح امتهم منذ بدء النهضة العربية الحديثة ، وعلى الاخص بعد قيام ثورات التحرير العربية ؟ وما الذى يستطيعون أن يقوموا به فى دعم بناء الوحدة والقومية العربية ؟

وسأحاول في الكلمة القصيرة التالية ان ارسم الخطوط الاساسية لبحث هذه النقط كما اتصورها.

ان الخلاف حول مهمة الأديب قديم : وقد ظل النقاش حينا بين نقاد الغرب وعلى الاخص فى القرن التاسـع عشر واوائل العشرين يدور حول فكرتين رئيسيتين فى الموضوع : **اولاهما** ان مهمة الأديب ان يعبر تعبيرا قوليا جميلا بصرف النظر عن اثر هذا التعبير فى مجتمعه أو وقعه عنده ؟ **والثانية** ان مهمة الأديب أن يبلغ الناس من حوله ما يحس به. وكلتا الفكرتين تثير خلافا داخليا بين القائلين بهما : فاذا كانت مهمة الأديب ان يعبر ، فعم يعبر ؟ عن نفسه ام المجتمع من حوله ؟ ام الطبيعة ؟ ام الكون ؟ واذا كانت التبليغ ، فماذا يبلغ ؟ أيصف للناس احاسيسه الذاتية ؟ ام يقصـــد الى ان يوجههم وينقدهم ويعلمهم ؟ وكان هناك ــ ولا يزال ــ نقاش من واد آخر : هل الأديب مقيد بمواضعات مجتمعه ؟ أم انه حر في تناول اى موضوع على الطريقة التى يراها، والتى تناسب فنه وطبيعته ؟

كان هذا النقاش صدى لمراحل من تطور التفكير الانسانى ،وتطور البحث فىطبيعة النفس الانسانية، وفي فلسفة الفن وفلسفة الحياة بوجه عام . وكان مما يثيره أحيانا ظهور عبقريات فذة في الفن والأدب تؤثر بروائع اعمالها على المفاهيم الانسـانية وتثير التساؤل الذى اشرنا اليه .

ويبدو ان حكمة الله اقتضت ان يخلق الناس مختلفين فى امزجتهم ، وفي نواحى الحيـاة التى تجذب انتباههم ، وتنبه قواهم المبدعة : فهذا الأديب او الفنان أو الفيلسوف من النوع المنطوى ، وذاك من المنبسط ، وهذا واقعى ، وذاك مثالى ، وهذا ينحـو بطبعه نحو الوضـوح ، وذاك نحـو الرمز والغموض ، وهذا يستمد مادته من الطبيعة ، وذاك من الاجتماع الانسانى ، وهذا يعتمد على خواطره

الشعورية وتفكيره الواعي ، وذلك يمنع من عقله الباطن .

وفي رأينا ان حياة الجماعة تتسع لكل هؤلاء : انها تتطلب أن يكون فيها الأديب العاطفي مبدع الأغنية الرومانسية ، الى جانب الأديب الثائر خالق النشيد الهادر ، والقاص الذي يدير قصصه حول أحداث الحياة ومواقفها ، والروائي الذي يتخذ من ظواهر المجتمع وقضايا الحياة وصراع النفوس نسيجا لحبكة روايته ، وشاعر الملاحم الذي يصور البطولة والكفاح في أروع صورهما ، وكاتب الرسالة أو المقال الذي يبني أسلوبه على الحجة والاقناع ، أو على التحميس والهاب عواطف الجماهير . وكل هؤلاء مواطنون تصب روافد أدبهم في تيار الجهد المشترك للأمة ، وفي اشباع ذوقها ، واغناء حياتها ، والعمل على تحقيق أهدافها .

على أن القرن الحاضر جلب معه ظاهرة أصبح لها تأثيرها على تحويل مجرى النقاش في طبيعة الأدب ووظيفة الأدب وجهة جديدة : ذلك أن التطور الحديث في النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في كثير من البيئات الانسانية ، عمل على توثيق الصلة بين الفرد والمجموع ، وعلى ضرورة ان يقوم كل مواطن — حسب تخصصه وقدراته — بنصيب في المجهود الجماعي المشترك . ومن هنا برزت أهمية الأدب . والفنان — بصفة كونه مواطنا — يملك اداة ذات قيمة وفعالية كبيرة في اصلاح حياة الجماعة ، وفي زيادة رصيدها من الثروة الروحية والنفسية ، في معالجة قضاياها الكبرى ، والتوعية بفلسفتها في الحياة ، وفي تعبئة قواها لتحقيق أهدافها التي تتطلب صراعا ونضالا . وقد اصبحت تلك المجتمعات تتطلب من أدبائها ان يشاركوا بأدبهم في النضال ، وان يوجهوا نشاطهم الخلاق لا نحو الذات وعواطفها وحياتها الفردية ، ولا نحو الطبيعة وجمالها ورومانسيتها ، ولكن نحو المجتمع وكفاحه ومعاركه وقيمه ، ولم تعد تلك البيئات تستسيغ السلبية أو الانانية الفردية او الانعزالية من جانب الأديب او الفنان .

ولهذا التطور منطق يقوم على أساس من طبيعة الفن والأدب ، وتأثر النفس الانسانية بهما . ذلك ان الفنون عامة — والآداب خاصة — حين يتوافر لها الصدق وعمق التجربة وحرارة الايمان — تجد طريقها الى النفوس سهلا ميسرا ، وتعمل عملها في العواطف والمشاعر ، وتخلق من الصلات الوجدانية بين الناس مالا تقوى العوامل المصطنعة على اضعافه أو هزيمته ، وبذلك تكون ذات أثر فعال في توجيه مجتمعها الى مقاصد متماثلة في الخلق وفلسفة الحياة ، والى وحدة شاملة في الوسائل والغايات .

ان للكلمة المقروءة او المسموعة تأثيرا قويا في النفس البشرية ، واذا ما أخذت الكلمة شكلا فنيا متكاملا : قصيدة ملهمة ، أو خطبة مؤثرة ، أو رسالة مبينة ، أو قصة محبوكة أو تمثيلية من صميم الحياة ، كان تأثيرها في النفوس بالغا وعميقا ، فاذا ما كان موضوع الاثر الأدبي بطلا من أبطال الامة ، أو ملحمة من ملاحمها الخالدة ، أو أزمة من أزمات كفاحها ، أو تخليدا لسيرة مصلح من مصلحيها ، أو استنهاضا لهمم أبنائها الى جلائل الأعمال ، أصبح ذلك الأدب سلاحا نضاليا ماضيا ، وكانت له في الجهد الجماعي للأمة آثار قوية ، وعمل عمله في الوحدة المنشودة بين المواطنين ، حتى ولو لم يقصد منشئه حين انشاء الى غرض آخر وراء الابداع والتعبير الفني .

وعلى هذا الأساس نستطيع أن نقول ان الأدب ليس تعبيرا فقط ، وليس تبليغا فقط ولكنه الاثنان معا : فكل فرد عضو في مجتمع ، واللغة اداة الاتصال الاجتماعي ، والفكري بين أفراد المجتمع ، والادب هو لغة التواصل الوجداني والنفسي لاولئكم الافراد وكل تعبير أدبي فهو في الوقت ذاته اداء وتبليغ .

ومـا دام للأدب تأثيره الذي أشرنا اليه سابقا ، فان من طبيعة الحياة الاجتماعية للانسان أن تفسح للأدب مكانا في تجاربها وآدابها ، وأن تنشد عونه في تحقيق أهدافها وغاياتها . واذا تراخت في طلب هذا العون في أوقات الرخاء والاستقرار ، فانها لن تتوانى عن افتقاده في أوقات الكفاح والازمات . واذن فمن الطبيعي أن يشتد الالحاح على قيام الأديب بوظيفته في مراحل الانتقال الكبرى في حياة الأمم ، كأن تكون الأمة مشغولة بثورة على ظلم خيم عليها طويلا ، أو معركة تحرير ضد غاصب اعتدى على مقدساتها ، أو نهضة اجتماعية أو صناعية أو اقتصادية تقيم أركانها ، او رابطة قومية تحاول أن تبنيها وتدعمها ، أو دعوة انسانية تتبناها في سبيل الاخاء والعدالة والسلام البشري .

ولكي يقوم الأديب بوظيفته هذه لابد ان يتوافر فيه شرط أساسي هو الايمان الصادق بما يعبر عنه ويدعو اليه . ولا جدوى من مطالبة الأديب بالقيام

بدوره اذا لم يكن مؤمنـــا بذلك الدور فى قرارة وجدانه . وهو اذا آمن لا محـالة منفعل بايمانه ، صادر عنه فى ادبه . تلك سنة الفطرة وهذه طبيعة الفن والحياة .

واذا انتقلنا من التعميم الى التخصيص ، ونظرنا الى ادبنا العربى فى ضوء الرأى الذى انتهينا اليه من تحليلنا السـابق ، وجدناه ادبا خصبا ، ارتبط منذ نشأته بحياة مجتمعه ، فتطور بتطوره ، واتسع باتساعه ، وتلون بألوان تفكيره السياسى والاجتماعى، وكان صدى له فى حالى قوته وضعفه ، وتحركه وجموده ، وأصالته وتقاليده . والذين نشأوا منا على حب الأدب العـربى الأصيل وحفظ روائعـه ونماذجه الخـالدة يدركون ما لذلك الأدب من تأثير وتوجيه للوجدان ، ومن اثارة الحنين الى مفاخـر الآباء والأجداد والاعتزاز بها ، حتى ليصل الامر بالمتأثر به الى درجة التعلق الروحى بالمواطن التى عاش فيها الأسلاف ، والأماكن التى ردد شعراؤهم اسماءها ، والشخصيات الحقيقية او المتخيلة التى تحدثوا عنها .

لقـد كان الشـاعر العربى فى الجاهلية لسـان قبيلته ، المدافـع عن حوزتها والمحامى عن شرفها واعراضـها . وقام الشعر والخطابة بدورهمـا فى المراحل الأولى من الدعوة الاسلامية ، وفى معارك العصبيات والاحزاب السياسـية والمذهبية ، وفى تخليد البطولات العربيـة فى حروب المسلمين ضـد الروم ، وفى حروب الشرق الاسلامى ضد الصليبيين، كما قام الأدب بدوره فى تسجيل صور الحضـارة العربية الزاهرة ونتاج عقول ابنائها ، والتعبير عن خلجات النفوس مما زودتها به الفطرة من عواطف واحاسيس . وفى عصور التأخر والركود كان الأدب العربى صدى لحياة مجتمعه الراكدة يعبر عنهما فى مناسباتها وظواهرها العادية .

فلما جاءت النهضة الحديثة ، وقف ادباء البلاد العربية صفا فى معارك القومية والتضامن العربى ، فصور كثير منهم آلام امتهم وآمالها ، واحسـاس كل جزء منها بمشاركته للاجزاء الاخرى فى السراء والضراء ، وحفلت قصائد شعرائنا ومقالات كتابنا بنقد الحياة العربية وتوجيهها نحو اهدافها . وقد امتدت هذه المرحلة من اواخر القرن الماضى الى قرب منتصـف القرن الحاضر ، وكان فى ادبها كثير من الارهاصات بالوثبة الكبرى التى وثبها العرب فى ثوراتهم التحريرية فى المرحلة التى نعيش أمجادها الان . وفى هذه المرحلة الحاضرة عرف الادباء العرب مكانهم فى الصـفوف الاولى من كتائب الثورة بين شـاعر خطيب ، وكاتب مقـال ، ومذيع حديث ، ومنشىء قصة أو رواية أو مسرحية ، ودارس لأدب الكفاح ، ومؤرخ لتطوره ، وداع الى الحفاظ عـلى الفصحى ــ وهى الدعامة الكبرى للقومية والوحدة العربية ، وعامل على رقيهـا واتساعها ووفائهـا بمطالب الحياة الجـديدة . ومن شـواهد هـذا الاحساس من جانب ادبائنا بمسئولياتهم فى الكفاح، ودورهم فى العمل لتحقيـق الوحدة العربية هـذا الربـط الذى ربطـوه بين دورات مؤتمرهم وبين موضـوعات القوميـة والوحـدة . وهاهم اولاء فى مؤتمرهم الخامس ، فى بغداد عاصـمة الحضـارة العربية الاسلامية فى عصرها الذهبى ، والقلعـة الشرقية للزحـف العربى الحـديث نحو الحـرية والاشتراكية والوحدة ــ يجتمعون ــ كما يجتمع المحاربون ــ بعد سلسلة من الانتصارات فى المعركة ــ يراجعون خططهم وينظمون صفوفهم ويستجمعون قوتهم للجـولة التالية من الزحف المقـدس . وان ايمانهم بأهداف الكفاح العربى الحاضر ــ فى القومية والوحدة والاشتراكية وتحرير جميع اجزاء الوطن العربى واسـترداد الجزء السـليب منه ــ ليفتح امامهم الى جـانب الآفاق التى جـابوها فى الأدب الثورى آفاقا جديدة يوجهون فيها مواهبهم الخلاقة لتنمية الوعى بمفاهيم الثـورة فى الحرية والعدالة والكرامـة والكفاية ، ولتوضـيح أصـول القومية وعوامل وحدة الوطن العربى الاكبر ، والربط بين مثل الحياة التى ننشـدها ، والتقاليـد والتعاليم العربية الاسلامية التى صنعت تاريخنا ، والمجادات التى خلدها أسلافنا فى معارك الكفاح وميادين المعرفة، ونجاح قادة ثوراتنا فى توجيه السـياسة العربية الحاضرة فى المجال الدولى ، ونصيب أمتنا فى العمل من أجـل سـعادة الجنس البشرى وسلامه . وان ادبنـا العربى وقد استكمل فنونه ، وعرف بين الآداب الخصبة الحديثة ــ كما عرف فى القديم مكانه بين الآداب الكلاسيكية الكبرى ــ لكفيل بأن يكون اللسـان الناطق بآمال الأمة والمترجم الأمين عن مشاعر جماهيرها ، والدليل الحادى لركب العروبة نحو الغايات والأهداف المنشودة .

« محمد خلف الله أحمد »

بحوث لغوية تاريخية

بقلم: حامد عبد القادر

كلمات في كلمات

- ٥ -

يدعى الصهاينة الأفاكون فيما يدعون ـ وما أكثر دعاواهم الباطلة ، بل ما أشنع ادعاءاتهم الكاذبة ـ ان الله تعالى قد وعدهم ، بل أخذ على نفسه العهد أن يجعل أرض فلسطين ملكا خالصا لهم دون غيرهم أبد الآبدين ـ « كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا » • « ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده »

وكثيرا ما نسمع هؤلاء الافاكين يفترون على الله الكذب ويقولون ان نصوصا معينة فى كتابهم المقدس تبرهن على صحة دعواهم • ولا شك أن التوراة هى الدعامة الكبرى التى يستندون اليها فى ترويج هذه الفرية العظمى ، التى لم يسمع التاريخ أبعد منها عن الحقيقة •

أما ما عدا التوراة من كتبهم الدينية كالتلمود فلا يعتد به ، لان التوراة هى الأصل أو المصدر الاول الذى يستقون منه تاريخهم وشرائعهم •

وقد قلت فى مقال سابق نشر بهذه المجلة الغراء بالعدد رقم ١١٠١ بتاريخ ١٨ فبراير ١٩٦٥ ان ذلك الوعد أو العهد المشار اليه من الأمور التى لم تذكر فى القرآن الكريم فى أثناء الكلام على ابراهيم الخليل ، مع أنها ذكرت فى التوراة العبرية التى بين أيدينا •

وعلينا الآن ان نتتبع النصوص الواردة فى التوراة فى هذا الموضوع ونناقشها واحدا واحدا ، مع توخى جانب الصدق والحق فيما نقول •

يقول النص الاول ما ترجمته :

وسار ابراهيم فى الأرض حتى مكان شكيم ثم الى حيث أشجار بلوط مورة والكنعانيون (كانوا) حينئذ فى الأرض • وظهر (تراءى) الرب لابراهيم وقال : لنسلك أعطى هذه الأرض (تكوين : ١٢ ـ ٦ ـ ٧) •

هذه هى ترجمة صحيحة للنص الأول • وان نظرة فاحصة فيه تجعلنا على يقين من أنه لا يؤيد دعوى هؤلاء المدعين من قريب او من بعيد ، للأسباب الجوهرية الآتية :

١ ـ ان الأرض الموعود بها ليست محدودة المعالم ، ولا معروفة الحدود ، فالنص يقول : « أعطى هذه الأرض » وهذه عبارة مبهمة لا تدل على شىء معين •

٢ ـ ان النص يقول : لنسلك أعطى هذه الأرض ، ونسل ابراهيم او ذريته هم أبناء ولديه اسماعيل واسحق ، لا أبناء اسحق وحدهم • فليس من الحق فى شىء ان يفهم هؤلاء الناس ان أبناء يعقوب بن اسحق هم الذين يقصدهم هذا النص •

٣ ـ انه ليس فى هذا النص ما يدل على ان ملكية بنى اسرائيل لهذه الارض ملكية أبدية لا نهاية لها •

٤ ـ ان الكلمة العبرية التى معناها « يتراءى أن يظهر » ، كثيرا ما يقصد بها الظهور فى النوم • ومن ثم يمكن ان نفهم من هذا النص ان الرب تعالى ظهر لابراهيم فى حلم او رؤيا رآها وهو نائم • ويجوز ان يكون هذا من قبيل احلام اليقظة •

واحلام النوم او اليقظة لها غرض حيوى هو ـ كما يقول فرويد ـ ان تتحقق فى اثناء الحلم الامانى او الآمال التى لاتتحقق فى حياة اليقظة العادية •

فليس ببعيد ان ابراهيم الخليل الذى هاجر من بلاده الى بلاد اخرى لا يمتلك فيها أرضا ، ورأى كثيرا من الملوك يمتلكون أراضى واسعة ـ أقول : ليس ببعيد ان يكون الغرض من هذه الرؤيا جعل هذا النبى الكريم يطمئن على ذريته •

ومهما يكن من امر هذا النص فاننا نجزم بانه لا يدل على

شيء يحتج به هؤلاء الصهاينة الباغون • ذلك اننا اذا فرضنا ان ابراهيم عليه السلام راى الله تعالى رؤية حقيقية ، وان الارض الموعود بها هي فلسطين المعروفة فانه يبقى بعد ذلك ان الموعودين بامتلاك هذه الأرض هم بنى اسرائيل – الذي هو يعقوب – وحدهم ، وانما هم ذرية ابراهيم جميعهم وفي مقدمتهم العرب ابناء اسماعيل اكبر ابناء ابراهيم •

– ٦ –

ننتقل الى النص الثاني وترجمته :

«وقال الرب لابراهيم بعد أن اعتزله لوط : ارفع عينيك وانظر من المكان الذى أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا • لأنى سأعطى كل هذه الأرض التى ترى لك ولذريتك الى الأبد» (تكوين ١٣ : ١٤ – ١٥) •

وننظر في هذا النص فنجد :

١ – ان الأرض التى كان بها ابراهيم حين قال له الرب ذلك كانت ارض شكيم ، وهي جزء صغير من فلسطين كان يقيم به بعض القبائل الكنعانية وكان على مقربة من البحر المتوسط كما يؤخذ من هذا النص والنص السابق •

٢ – ان النص يحدد الارض الموعود بها بحدود مدى الابصار شمالا وجنوبا وشرقا وغربا • فليت شعرى هل كان بصر ابراهيم الخليل يمتد الى الجهات الاربع فيستطيع ان يرى فلسطين كلها من اقصى الشرق الى اقصى الغرب ومن اقصى الشمال الى اقصى الجنوب ؟

هذا سؤال نوجهه الى علماء البصريات من الصهاينة ومن لف لفهم •

٣ – ان تمليك هذه الأرض على حسب هذا النص ايضا ليس مقصورا على بنى اسرائيل ، وانما يشمل ذرية ابراهيم جميعهم وفى مقدمتهم ذرية ابنه الاكبر اسماعيل كما قلنا من قبل •

٤ – ان هذا النص يقدم كلمة «لك» على كلمة «اعطى» ، وهذا الاسلوب يفيد القصر ، كان الله تعالى يخاطب ابراهيم عليه السلام ويقول له : «انى ساعطيك وحدك هذه الأرض ، لم اعطيها لذريتك من بعدك» • والمعروف أن ابراهيم الخليل لم يمتلك فلسطين قبل وفاته ، بل لم يمتلكها احد من ابنائه حتى جاء موسى ، وخلص بنى اسرائيل من اسر المصريين •

٥ – ان عبارة «الى الأبد» التى نجدها فى اخر هذا النص لا نجدها الا فى نص اخر ، هو النص الخامس ، ولذا ارجح ان النساخ قد اضافوها ، كما اضافوا عبارات غيرها في مواضع اخرى سنشير اليها فيما بعد • ويجوز ان بعض النساخ كان قد كتبها على هامش الأصل ، وعلى مر الزمن نقلت من الهامش الى الصلب، وجعلت جزءا من النص ، كما حدث فى حالات اخرى •

ففى ضوء هذا كله نستطيع ان نقرر انه ليس فى هذا النص ما يؤيد دعوى الصهاينة : ذلك اننا اذا سلمنا جدلا ان هذا النص صحيح لا اضافة فيه فاننا نقول ايضا انه يدل على ان الارض الموعود بها ستكون ملكا لابراهيم ولذريته من بعده • اما امتلاك ابراهيم لها فامر لم يثبته التاريخ ، ولم يرد به نص مطلقا لا فى التوراة ولا فى غيرها •

واما ان هذه الأرض المحدودة بتلك الحدود الضيقة ستكون ملكا لذرية ابراهيم فهو حكم عام يتضمن بدون ادنى شك ان يكون ابناء اسماعيل من الورثة الذين يرثون تلك الارض ، وذلك ما لم تذكره التوراة ، او على الأصح – لم يذكره من كتبوها ، بل انهم اهملوه لاغراض فى انفسهم ستنكشف لنا عما قريب •

واما عبارة «الى الأبد» فقد كذبها التاريخ ، لأن فلسطين لم تكن دائما ملكا لبنى اسرائيل ، بل ان كل دولة ظهرت فى العالم القديم او المتوسط او الحديث قد استولت عليها ، وكثيرا ما كان الفاتحون يجلون اليهود عنها لما درجوا عليه ، بل طبعوا عليه من المكر والخديعة ، وتدبير المؤامرات ، وشق عصا الطاعة ، والغدر والخيانة والافساد فى الارض •

بعد وفاة سليمان بن داود عليهما السلام فى منتصف القرن العاشر قبل الميلاد تقريبا انقسمت فلسطين فصارت دولتين احداهما اسرائيل فى الشمال والاخرى يهوذا فى الجنوب • وفى سنة ٧٢٢ ق•م سقطت اسرائيل فى ايدى الأشوريين ، وفى سنة ٥٨٦ ق•م سقطت يهوذا فى يد بختنصر البابلى • وجاء الفرس فاستولوا على الدولتين معا ، وجاء من بعدهم الاسكندر الاكبر المقدونى فاكتسح البلاد وما حولها الى اقصى الشرق ، وخلفه السلوقيون فامتلكوها ، وجاء من بعدهم الرومان فقضوا على اليهود القضاء المبرم سنة ٧٠ م • وحينئذ (اى منذ ما يقرب من تسعة عشر قرنا) بدا عصر التشتت الذى يحاول الصهاينة ان يضعوا حدا له – ظلما وعدوانا – والله من ورائهم محيط •

فليست فلسطين بدعا من البلاد ولم تحل دعاوى اليهود الصهاينة بين اية دولة تنهض وبين الاستيلاء عليها • سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا •

– ٧ –

ننظر بعد ذلك فى النص الثالث وترجمته :

وقال له (اى الرب لابراهيم) أنا الرب الذى اخرجك من أور الكلدانيين لأهب لك هذه الأرض ميراثا لك» (تكوين ١٥ – ٧)

وهذا – كما ترى – نص لا قيمة له ؟ اذ انه – على الراجح – جزء من رؤيا رآها ابراهيم ، وهو مع ذلك يجعل ابراهيم وحده هو الوارث الوحيد للأرض الموعود بها • وليس من شان هذا الكلام ان يتخذه اعداء الحق واعداء الانسانية بل اعداء الله دليلا على صحة دعواهم الكاذبة •

فلندع هذا النص ، ولنقرا ترجمة النص الرابع وهى :

«فى ذلك اليوم أبرم الرب مع ابراهيم ميثاقا قائلا لذريتك اعطيت هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات» : تكوين (١٥ – ١٨) نقرا ترجمة هذا النص فى ضوء النصوص التى قبله فى الفصل نفسه وهو الفصل الخامس عشر من سفر التكوين فيتضح لنا :

١ – ان السياق يدل على ان الميثاق المشار اليه فى هذا النص قد ابرم مع ابراهيم فى رؤيا رآها وهو نائم ، ومن ثم يمكن ان نقول فى تاويل هذه الرؤيا ما قيل فى تاويل النص الاول الذى رجحنا أن يكون تعبيرا عن رؤيا رآها ابراهيم فى نومه •

٢ – ان هذا النص يمتاز :

اولا : بان الارض الموعود بها «قد وهبها» او سيهبها قطعا لذرية ابراهيم لا له ، ولا داعى لتكرار القول بان اسماعيل وذريته من ذرية ابراهيم •

ثانيا : بانه قد حدد تلك الارض بحدين يبدو انهما ثابتان ، هما نهر الفرات العظيم من الشرق ، ونهر مصر من الغرب •

وليس من المعروف بالضبط المراد من «نهر مصر» فمن الجائز ان يكون المراد منه نهر النيل • ولكنى ارجح ان يكون نهرا اخر غير نهر النيل كنهر اليرموق او نهر الاردن ، فان امتلاك مصر فى

تلك العصور الغابرة كانت تمتد شرقا الى ما وراء شبه جزيرة طور سينا ، وكانت احيانا تشمل فلسطين كلها .

فقد ورد في بعض رسائل تل العمارنة التي كتبت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد تقريبا في عهد الملك امون حوطب ان قوما يسمون هبيري او هبيروس كانوا يغيرون على كنعان او جنوبي فلسطين التي كانت خاضعة لحكم المصريين في عهد اخناتون، والمراد بهبيري او هبيروس هم العبرانيون . وربما يرجح ان المراد بنهر مصر نهر اخر غير نهر النيل امران هامان : الأول وصف نهر الفرات بانه النهر العظيم ، اذ لو كان الكاتب يقصد بنهر مصر نهر النيل ما اختص نهر الفرات بهذا الوصف . الثاني انه ذكر بعد هذا النص مباشرة القبائل التي تقيم بارض الميعاد وكلها قبائل كنعانية ليس من بينها أحد من المصريين ولا من التابعين لهم .

وليس ببعيد ان تكون هذه العبارة المحددة لأرض الميعاد قد اقحمت اقحاما ، شانها في ذلك شان غيرها وهو كثير .

واذا تذكرنا ان التوراة العبرية التي بين ايدينا لم يبدأ تدوينها الا في اواخر القرن التاسع او اوائل القرن الثامن تقريبا قبل الميلاد ، اى بعد هجرة ابراهيم الخليل بنحو ألف ومئتي سنة ، أو بعد ان كانت الدولة اليهودية قد بلغت اوج عظمتها في عهد داود وسليمان عليهما السلام بنحو مئتي سنة — اقول اذا تذكر ذلك تسنى لنا ان نقرر ان هذا النص بمثابة نص تاريخي لايتحدث عن المستقبل وانما يتحدث عن امر وقع بالفعل وهو اتساع املاك داود وابنه سليمان من بعده وامتدادها من نهر الفرات الى حدود مصر .

ويشبه النص الرابع نص آخر ترجمته :

« واعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك : أرض كنعان ملكا أبديا » (تكوين ١٧ — ٨)

هذه هي ترجمة النص الخامس نثبتها ، ونكتفي في التعليق عليه بما ذكرنا من قبل في التعليق على النصوص السابقة الا انه لم يذكر فيه جديد يعتد به . ومع ذلك نود ان نقرر أن السياق هنا ايضا يسوغ لنا ان نفهم ان ظهور الله تعالى لابراهيم ومخاطبته بهذا الكلام كانا في اثناء رؤيا نوم او يقظة ، او اثناء يقظة كاملة .

- ٨ -

هذه هي النصوص الواردة في التوراة التي بين ايدينا متضمنة الوعود او العهود الخاصة بتمليك ابراهيم عليه السلام هو وذريته من بعده ارض فلسطين ، التي تطلق عليها التوراة اسم « أرض كنعان » .

وهي — كما ترى — خمسة نصوص مختلفة ، كل منها يخالف غيره ، اما في تحديد الارض الموعود بها ، واما في المدى الزمني لامتلاكها ، واما فيمن يمتلكها .

فمع اتفاقها في ان الله تعالى هو الذي خاطب ابراهيم عليه السلام في امر الامتلاك ، فانها قد اختلفت في كنه هذا التخاطب او في طريقته ، فالنص الرابع يقرر ان ذلك كان في اثناء النوم ، واني ارجح ان تكون هذه هي الحال بالنسبة للنصين الأول والخامس .

ومما يلفت النظر ان كلا من النصين الاول والرابع يجعل ذرية ابراهيم هم الذين ستؤول اليهم ملكية تلك الارض ، وان النصين الثاني والخامس يجعلان هذه الملكية لابراهيم وذريته ، وأن النص الثالث ينفرد بان يجعل هذه الملكية لابراهيم وحده .

والنصان الثاني والخامس يجعلان امتلاك تلك الارض ابديا ، والنصان الرابع والخامس يعينان حدود الارض فيجعلها الرابع من نهر الفرات الى نهر مصر ، ويجعلها الخامس ارض كنعان .

ترى ، امستقلة تلك الوعود ؟ ام مختلفة ؟ ام هي متكاملة يكمل بعضها بعضا ؟. لست ادري، غير ان ما بينها من اختلافات جوهرية يدعونا الى الجزم بانها ليست من وحي الله تعالى ، واننا لنلمح من خلال هذه الاختلافات اضطراب الكاتب وتردده في الأمر، ونرجح ان نظرته الى شعبه نظرة محاباة وتحيز هي التي جعلته يختتم هذه الوعود بتحديد الارض الموعود بها ، وبجعل ذرية ابراهيم هم الوارثين لها ، وبالنص على ان امتلاكها سيكون ابديا. وقد كفانا التاريخ مؤونة الرد على هذا كله بتكذيبه كله .

ومن الحوادث التي لم تذكر في القرآن الكريم ، ولكنها ذكرت في التوراة التي بايدينا معزوة الى ابراهيم الخليل عليه السلام حوادث نمسك عن الخوض في بيان تفصيلاتها مكتفين بالاشارة اليها .

لا شك انك ايها القارىء الكريم سوف تعجب ويشتد بك العجب حين يقع نظرك على ما ينسبه كاتب السفر الاول من اسفار التوراة الى ابراهيم خليل الله ابي الأنبياء . فكيف تسمح لهذا الكاتب نفسه ان ينسب الى هذا النبي الكريم من الاعمال ما تشمئز منه نفس الشخص العادي ؟ وهل يستطيع الضمير البشري السليم او الشعور الخلقي المهذب ان يرضى عن شخص يتخذ زوجته درعا يقي بها نفسه من خطر الموت ؟ فيخفى انها زوجته ويظهر انها اخته ، ويبيح للمصريين ان يتحدثوا عن جمالها المفرط امام فرعون فيؤديها اليه ويعاملها معاملة الازواج للزوجات . ثم يتنبه الى خطيئته فيندم ويلوم ابراهيم على خداعه ويهب له كثيرا من الغنم والبقر والحمير والعبيد ، كانه يكفر عن خطيئته (تكوين ١٢–١٦) انى لا استنكر مايقوله الكاتب من ان ابراهيم قال عن سارة انها اخته فقد كانت في الواقع اخته لأبيه (تكوين ٢٠ — ١٢) ولكن الذى استنكره اشد الاستنكار ان يضحى رجل عظيم وصل الى القمة بين الأنبياء بعرض زوجه ليحافظ على حياته .

ولا يصح ان نقول ان روح العصر لم تكن لتستنكر مثل هذه الفعلة ، لأن فرعون نفسه يندم على ما فعل ، ويلوم ابراهيم على انه خدعه ولم يقل له ان سارة هي زوجته .

ولا يصح ايضا ان يقال ان ما نسب الى ابراهيم قد فعله وهو حسن النية لم يتوقع ما حدث ، لان هذه الفعلة نفسها قد نسبت اليه مرة اخرى وذلك حين قال لأبي ميلك ، ملك جرار ، احد الملوك الاثرياء في عصره ، مثل ما قال للمصريين ، ولكن ابيميلك لم يفعل بسارة كما فعل فرعون ، فقد راى رؤيا اخبره الله فيها بحقيقة الامر ، فاستدعى ابراهيم ولامه على ما فرط منه ، ورد اليه زوجه وقال له : ها هي ذي ارضي امامك فاقم حيث تحب . وقال لسارة : انى قد اعطيت اخاك الفا من الفضة (تكوين ٢٠)

الا ترى معى ايها القارىء الكريم ان هذه الفعلة لا تليق بمقام نبى كريم يجعله الله قدوة حسنة للناس ؟ ثم الا ترى معى ايضا ان هذا كلام مصنوع موضوع ليس من كلام الله في شيء ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

هذا واننا لنجد في التوراة التي بين ايدينا كثيرا من مثل هذا

الكلام الذى لا يمكن صدوره من الله تعالى ، وذلك نحو ما تسب لابنتي لوط عليه السلام (تكوين ١٩ : ٣٠ ـ ٣٨)

- ٩ -

وتتبع سيرة ابراهيم عليه السلام كما تقصها علينا التوراة العبرية التى بين أيدينا ، فنقرأ فى الفصل السادس عشر من سفر التكوين مايفيد ان سارة زوجة ابراهيم لما ايقنت أنها عاقر، ويئست من ان تلد ، عرضت على زوجها ان يتخذ جاريتها هاجر المصرية زوجا له راجية بذلك ان يشد الله ازرها بان يهب لابراهيم ابنا من هاجر جاريتها .

ويستمع ابراهيم الى نصيحة سارة ، وتتضرع هاجر الى الله ان يهب لها ابنا من ابراهيم ، ويجيب الله دعوتها فتلد ولداذكرا وتسميه « اسماعيل » .

وتقول التوراة : ان هاجر سمت ابنها كذلك لأن الله تعالى قد استمع الى تضرعها (تكوين ١٦ ـ ١١) .

واسماعيل بالعبرية هو

ישמעאל

= يشماعيل .

وهو مركب اسنادى يتكون من كلمتين الاولى فعل مضارع وهو ישמע اى يسمع والثانية فاعل هذا الفعل وهى اى الرب ومن ثم يكون معنى هذا التركيب يسمع الله . ولما عرب جعل حرف المضارعة الفا لكراهية بدء الاسماء العربية بياء ، ونجد هذا القلب فى اسحاق واسرائيل كما سنرى .. ويبدو ان هذه الياء قد بقيت فى يعقوب ويعرب مثلا لكراهية توالى حرفين من حروف الحلق فى اول الكلمة ، وشذ عن هذه القاعدة يشجب .

والفعل العبرى يقابله فى العربية الفعل « يسمع » فالشين فى العبرية كثيرا ما تقابلها السين فى العربية . والأصل فى حركة المقطع الاخير من هذا الفعل ان تكون فتحة قصيرة كما ترى . فلما تكون منه ومن

יצחק

كلمة واحدة مدت هذه الحركة فجعلت فتحة طويلة ،

وكان ينبغى ان تثبت هذه الفتحة الطويلة فى الرسم العربى ، ولكن لما راى المعرب ان هذه الفتحة الطويلة لا تمثلها فى العبرية الف ، بل تمثلها حركة هى فتحة طويلة توضع تحت الميم كما هو ظاهر فقد حاكى الرسم العبرى وحذف الالف من الرسم العربى فكتبه هكذا (اسمعيل) وفى رايى ان يكتب هذا الاسم او غيره كما ينطق به هكذا اسماعيل ، كيلا يبقى الرسم العربى متأثرا بالرسم العبرى .

هذا هو ما قلته من قبل عدة مرات ، وسأظل اقوله حتى يحظى الرسم العربى بالاستقلال التام ، ويتخلص من البقية الباقية من النفوذ الاجنبى الذى ظل جاثما على صدره مسيطرا عليه ما يقرب من اربعة عشر قرنا .

- ١٠ -

نعود مرة اخرى الى متابعة النظر فى قصة ابراهيم بعد ان ولد له اسماعيل فنقرأ فى الفقرة الخامسة عشرة وما بعدها من الفصل السابع عشر من سفر التكوين ان الله تعالى يرفع منزلة سارة زوج ابراهيم ويبشره بانها ستلد ايضا ولدا ذكرا تسميه : « اسحاق » .

ويقول الرب لابراهيم انه سيجعل عهده مع اسحاق عهدا ابديا لنسله من بعده . ويطمئنه على ابنه اسماعيل فيقول انه سيباركه ويكثر نسله فينجب اثنى عشر رئيسا وتكون منه امة عظيمة . ويعود الرب فيقول :« ولكن عهدى اقيمه مع اسحق الذى تلده لك سارة » (التكوين ١٧ : ١٨ ـ ٢١)

ولما عرب اسم اسحق جعل حرف المضارعة الفا للسبب الذى من اجله جعل هذا الحرف الفا فى اسماعيل . وجعلت الصاد سينا للتخفيف . وقد ورد هذا العلم بالسين فى مواضع اخرى من العهد القديم العبرى .

وكانت حركة المقطع الاخير من هذه الكلمة فى الأصل الفعل فتحة قصيرة هكذا :

יצחק فلما جعل الفعل علما منقولا

وقع النبر على هذا المقطع الاخير فطالت حركته وجعلت فتحة طويلة وللسبب السابق ذكره لم تظهر الفتحة الطويلة اى الألف فى الرسم العربى . وهنا اقرر ما سبق ان قررته من قبل ، وهو انه يجب ان تكتب هذا الاسم هكذا « اسحاق » ليكون الرسم مطابقا للنطق .

وقد ذكر فى التوراة ما يفيد ان الابن الثانى لابراهيم قد اطلق عليه هذا الاسم اما لان سارة ضحكت حينما بشرت بانها ستلد ، واما لان ابراهيم قد سر حينما بشر به ، واما لان الناس قد ضحكوا عجبا من ان تلد عجوز وشيخ بلغ من العمر مائة عام .

ويرجح بعض الباحثين ان السبب فى اطلاق هذا الاسم على ذلك الوليد هو ما شعر به والداه من الفرح والسرور عند ولادته (التكوين ١٨ ـ ٦)

ونتابع النظر فى قصة اسماعيل واخيه اسحاق فنجد ان كاتب التوراة يحابى اسحق ، وينحاز الى جانبه انحيازا مكشوفا ، فينسب الى الرب انه يقيم عهده مع اسحاق وحده ، ويترك اسماعيل ، ويحاول ان يخفى هذه المحاباة فينسب الى الرب ذلك الكلام الذى قيل عن اسماعيل ورؤيته .

وليس من الصعب ان تدرك السر فى هذه المحاباة المكشوفة ، فانها صادرة من اسرائيلى من نسل اسرائيل وهو يعقوب بن اسحق !

لعلك تقول : « ومن يحابى جده فما ظلم » فاقول انما يكون ذلك مقبولا الى حد ما اذا كان المتكلم شخصا عاديا يتحدث فى امور عادية ، اما اذا كان رجلا مسئولا امام الله وامام ضميره وامام التاريخ عن كل ما يقول او يكتب فمن الواجب عليه أن يكون نزيها ، وأن يتوخى الصواب فيما يكتب خشية ان تكشف الايام عن محاباته فينفضح امره ، وتضعف ثقة الناس به بل تنعدم .

وستزيد هذا الامر وضوحا فى عدد تال من اعداد هذه المجلة الغراء ان شاء الله .

« حامد عبد القادر »

التاريخ الاسلامى
والمذهب المادى فى التفسير

بقلم : فتحى عثمان

(١)

منذ يناير ١٩٦٥ تتابعت أعداد مجلة « **الكاتب** » تحمل لرئيس تحريرها الأستاذ أحمد عباس صالح حلقات متصلة تتناول أحداث التاريخ الاسلامى فى عهد رسول الاسلام والخلفاء الراشدين تحت عنوان « الصراع بين اليمين واليسار فى الاسلام » وقد نهجت هذه المقالات أن تعرض لهذه الفترة من تاريخ الاسلام من وجهة نظر معينة يجليها فى المقالة الأولى كما يلى :

« فاذا كان القرآن الكريم قد حرم الأعمال المصرفية ، وهى الضربة القاصمة لراسماليى مكة ، كما وضع قواعد للتجارة لا تعرف الاحتكار او التحكم فى سعر السلعة ، وجعل لولى الأمر أن يتدخل فى البيع والشراء فيحدد السعر ويعاقب المخالف ، فكل ذلك هو ما كانت تأباه قريش ، وهو الذى جمع سراة قريش ووحدهم لقتال الاسلام والقضاء عليه ، وهو نفسه الذى حدد من اللحظات الأولى موقف الكتل السياسية ، ومختلف الطبقات الاجتماعية المؤيدة والمعارضة له » .

والاهتمام بالعامل الاقتصادى وتقديمه فى النظر الى أحداث التاريخ أمر لم يعد محل خلاف فى ذاته ... فنحن نقرأ لابن خلدون (المتوفى سنة ٨٠٨ ـ ١٤٠٦ م) قوله :

« فالقانون فى تمييز الحق من الباطل فى الأخبار بالامكان والاستحالة ، ان تنظر فى الاجتماع البشرى الذى هو العمران ، ونميز ما يلحقه من الأحوال لذاته وبمقتضى طبعه ، وما يكون عارضا لا يعتد به، وما لا يمكن أن يعرض له واذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانونا فى تمييز الحق من الباطل فى الأخبار والصدق من الكذب بوجه برهانى لا مدخل للشك فيه » .

والقوانين الاقتصادية من نواميس العمران بغير جدال ، وينقل ابن خلدون عن رجال من الفرس فى ختام هذا الفصل هذه الكلمات :

« ان الملك لا يتم عزه الا بالشريعة ، ولا قوام للشريعة الا بالملك ، ولا عز للملك الا بالرجال ، **ولا قوام للرجال الا بالمال ، ولا سبيل الى المال الا بالعمارة** ، ولا سبيل للعمارة الا بالعدل .. » .

« الملك بالجند ، والجند بالمال ، والمال بالخراج والخراج بالعمارة ، والعمارة بالعدل والعدل باصلاح العمال » .

ويقدم ابن خلدون فى مقدمته مبحثا « **فى اختلاف أحوال العمران فى الخصب والجوع ، وما ينشأ عن ذلك من الآثار فى أبدان البشر وأخلاقهم** » وصل فيها الى القول بأن « أثر الخصب فى البدن وأحواله يظهر فى حال الدين والعبادة » ، وأننا « نجد حال أهل المدينة الواحدة مختلفا باختلاف حالها فى الترف والخصب »

كذلك عقد ابن خلدون فصلا فى « **أن تفاضل الأمصار والمدن فى كثرة الرفه لأهلها ، ونفاق**

الأسواق انما هو فى تفاضل عمرانهـا فى الكثر والقلة » • كما توصل الى أن العمل هو أساس القيمة « **فلا بد من الأعمال الانسانية فى كل مكسوب ومتمول** ، لأنه ان كان عملا بنفسه مثل الصنائع فظاهـر ، وان كان مقتنى من الحيوان والنبات والمعدن فلا بد فيه من العمل الانسانى كما تراه والا لم يحصل به انتفاع ••• واذا تقرر هـذا فاعلم أن ما يفيده الانسان ويقتنيه من المتمولات : ان كان من الصنائع فالمفاد المقتنى منه قيمة عمله وهو القصد بالقنية ، وقد يكون مع الصنائع فى بعضها غيرها مثل النجارة والحياكة معهما الخشب والغزل ، الا أن العمل فيهما أكثر ، فقيمته أكثر ، وان كان من غير الصنائع فلابد فى قيمة ذلك المفاد والقنية من دخول قيمة العمل الذى حصلت به وقد تخفى ملاحظة العمل ، كما فى أسعار الأقوات بين الناس فى الأقطار التى علاج الفلح فيها ومئونته يسيرة ، فقد تبين **أن المفادات والمكتسبات كلهـا او اكثرها انما هى قيم الأعمال الانسانية ••** واعلم انه اذا فقدت الاعمال أو قلت بانتقاص العمران تأذن الله برفع الكسب » (مقـدمة ابن خلدون ـ بتحقيق الدكتور وافى حـ ١ ص ٢٦٥ و٢٦٧ ـ ٨، ٣٣٨ ، ٣٤ ، حـ ٣ ص ٨٥٩ ، ٨٩٦ ـ ٧) •

ولا نظن ان ثمة غضاضة فى النظر الى التـاريخ الاسلامى من شتى الزوايا ، ولا فى الذهـاب فى تفسيره مع مختلف مذاهب التفسير •

ولكن حتى لا يطغى حماس (المذهب) على دقة (المنهاج) ـ وهو أصل العلم الأصيل ، ينبغى أن تتوافر فى التفسير ضمانات مثل :

• أن يأتى التفسـير تاليـا **لثبوت الواقعة التاريخية ، ومع الطابع العـام للمجتمع فى العصر والبيئة اللذين تدرس فيهمـا الواقعة ومع ظروفه ككل ، والا يكون متعارضا مع واقعة او وقائع تاريخية اخرى ثابتة •**

• **الا يبلغ بنا الحماس المذهبى درجة ان نمنح التفسير (يقين) الثبوت التاريخى نفسه ••• ان التفسير رأى فى نطاق (الذهن) لاحدث فى مجال (الواقع)** •• انه لا يعدو أن يكون (فرضـا) أو (نظرية) تعرض (احتمالا) من الاحتمالات ، أو على أحسن الاحتمالات (ترجيحا) من الترجيحات ، واذا كان العلم فى مجالات الطبيعة والحياة لا يعرف الكلمة النهائية ، وهو يفرق بين الغرض والنظرية والقانون ، فأولى أن يكون ذلك فى مجالات الدراسات الانسانية ، وبخاصـة فى مجال تفسير الوقائع لا تحقيقها •

وحين تراعى الضمانات •• فان التاريخ الاسلامى يثرى كثيرا عن تسليط الاضـواء على أحداثه من شتى الاتجاهات ، وفقا لاختلاف مذاهب التفسير : من جغرافى ـ ومناخى أحيانا على وجه التخصيص (نظرية هانتنجتون فى دورات الجفاف مثلا) ، الى سلالى ، الى اقتصادى الخ الخ ••

فلننتظر اذن الى **الصراع بين اليمين واليسـار** فى هذه الأضواء •

الصراع بين اليمين واليسار فى الاسلام :

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ **أحمد عباس صالح** مقالات ••• تناول فيهـا الاحداث التاريخية فى صدر الاسلام : فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين•

ويثور تسـاؤل مبدئى : اى **(يمين)** ؟؟ وأى (يسار) ؟؟

ما هو ذلك (اليمين) وذلك (اليسار) بالنسبة لتلك الفترة المبكرة من تاريخ الاسلام ؟؟

اليمين ••• يمين بالنسبة لماذا ؟ واليسار ••• يسار بالنسبة لماذا ؟

ان الأسـتاذ ديفيرجيه يعرف « اليمين » فى محاضراته لقسم الدكتوراه بجامعـة باريس بأنه الاتجاه الى المحافظة على الوضع القائم ، أما اليسار فهو يدل على النزوع الى التغيير ••• ودائرة معارف كولومبيا تصف اليمين بأنه محافظ نسبيا واليسار بأنه نزاع الى الجذرية فى النظر الى الوضع ومحاولة علاجه •

فما هو الوضع القائم فى صدر الاسلام الذى أراد (اليمينيون) المحافظة عليه ؟؟

هل هو وضع (الجاهلية) السابقة على الاسلام •• أم هو الوضع الذى دعا اليه وأقامه الرسول عليه الصلاة والسلام ؟؟

ان الأستاذ عباس صالح يجعل رسول الاسلام على رأس (اليسار) فهو « ••• زعيمه وواضع

مبادئه الأساسية (ص ٤٥ ـ ع ٤٦) ، فهل يكون المسلمون (اليمينيون) هم الخارجين على سنة رسول الاسلام ؟؟

لعل الاستاذ الكاتب يقصد مايعبر عنه في مصطلح الأحزاب الأوربية بـ (يمين اليسار) ... وعلى كل حال لنترك الاستاذ عباس صالح نفسه يشرح لنا مدلول اليمين واليسار عنده بالنسبة لهذه الفترة من تاريخ الاسلام :

وكما يحدث في أى ثورة فاننا نرى في الطليعة المؤمنة بالدين الجديد ثلاثة تيارات : احدها يسار ثورى ، والثاني وسط معتدل ، والثالث يمين محافظ ومن البديهى أن **اليسار الثورى يتكون من المعدمين والموالى والعبيد وهم الذين وضحت رؤيتهم للاسلام بسبب تحررهم من أى ملكية ، أما الوسط فمن هؤلاء الرجال العمليين** الذين كان عليهم انقاذ الاسلام بعد وفاة النبى من الصراع الذى يوشك أن يحتدم بين اليسار الذى يفسر الاسلام تفسيرا يحقق العدل على أوسع نطاق ، واليمين الذى يرى أن الاسلام لم **يرم الى الغاء الامتيازات الطبقية** لم يقصد الى تحقيق العدل الاجتماعى على هذا النطاق الواسع (ص ٤٢ ـ ع ٤٦) .

ولكن كيف قبل الرسول (اليسارى) هؤلاء اليمينيين فى صفوف الاسلام وكيف اثنى عليهم وبشرهم بالجنة ؟؟

لقد كان بين السابقين الى الاسلام ابو بكر وعثمان ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام وطلحة بن عبد الله ... كما كان فى مقدمة المسلمين على بن أبى طالب وزيد بن حارثة ، وأسلم بعد ذلك خباب بن الأرت وعمار بن ياسر وصهيب وبلال ... الخ وهكذا سبق الى الاسلام أغنياء وفقراء ، أقوياء وضعفاء ،أحرار وموالى ، عرب وعجم تجار رأسماليون وعمال محترفون ...

فاين كان (اليمين) فى هؤلاء ... وأين (الوسط) ... وأين (اليسار) ؟؟

وكيف أغضى زعيم اليسار عن (وصولية) اليمينيين ؟؟ أو تقبل اليمينيين (ثورية) اليسار؟؟

فى عهد رسول الاسلام
(زعيم اليسار وواضع مبادئه)

لنقرأ معا عن (كتب السيرة) : انها « للأسف لا تحاول أن تتعمق اسباب الصراع الى أبعد من المظاهر الدينية ، ولكنها على كل حال تقدم لنا المادة التى نستطيع منها ان نضع أيدينا على الاسباب المادية فى الصراع ضد الاسلام ... » (ص ٤١ : ع ٤٦) .

وليس فى الأمر ما يوجب الأسف ... فالتاريخ انما يعرض الوقائع أما تفسير الوقائع فشىء متروك لـ (فلسفة التاريخ) وهى تتضمن الكثير من المنازع والاتجاهات !

التشريع الاقتصادى فى الاسلام :

يقول الكاتب : « انه حرم الربا ، وبالتالى الغى جميع العمليات المصرفية التى كانت عماد الحركة الاقتصادية فى مكة ، والاسلام يصدر تشريعات **بعدم دخول المشركين مكة** وهم عندئذ غالبية العرب ، وما كان العرب يحضرون الى مكة الا لأنها سوق يبيعون ويشترون فيها ، ولذلك ثار التجار وتخوفوا أن تبور تجارتهم .. ونفذ هذا الحكم بالتحريم وصار للتجارة مركز ثانوى . وجاء ايضا فى الكتاب الكريم ما يؤكد ثانوية التجارة (واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما) فاذا كان القرآن الكريم قد حرم الاعمال المصرفية وهى الضربة القاصمة لرأسماليى مكة ، كما وضع قواعد للتجارة لا تعرف الاحتكار أو التحكم فى سعر السلعة ، وجعل لولى الأمر أن يتدخل فى البيع والشراء فيحدد السعر ويعاقب المخالف . **فكل ذلك هو ماكانت تاباه قريش وهو الذى جمع سراة قريش ووحدهم لقتال الاسلام والقضاء عليه ، وهو نفسه الذى حدد من اللحظات الأولى موقف الكتل السياسية المختلفة منه وموقف الطبقات الاجتماعية المؤيدة والمعارضة له ... » (ص ٤٠ ـ ١ ع ٤٦) .**

ومن قبل أشار الدكتور **طه حسين** الى مثل ذلك فى حرص ذاكرا أن هذا مجرد رأى شخصى (يكاد) يعتقده « ... حتى لأكاد أعتقد أنه لو دعاهم الى التوحيد دون أن يعرض للنظام الاجتماعى والاقتصادى ودون أن يسوى بين الحر والعبد وبين الغنى والفقير

وبين القوي والضعيف ودون أن يلغي ما ألغي من الربا ودون أن يأخذ من الاغنياء ليرد على الفقراء . أقول لو دعاهم النبي الى التوحيد وحده دون أن يمس نظامهم الاجتماعي والاقتصادي لاجابه كثرتهم في غير مشقة ولا جهد ، فما كانت قريش مؤمنة ايمانا صادقا ، وما كانت قريش الا شاكة ساخرة تتخذ الأوثان وسيلة لا غاية ، وسيلة الى استهواء العرب واستغلالها (كتاب الفتنة الكبرى للدكتور طه حسين ، جـ ١ عثمان ص ١١) .

ولسنا ننكر بالطبع أهمية العامل الاقتصادي بالنسبة لقيام المعارضة ضد الاسلام ... ولكن ينبغي الا تطغى (المذهبية) على (المنهجية) ...

فالتشريعات المذكورة كلها متأخرة الحدوث ... تحريم الربا ، وعدم دخول المشركين مكة ، والتشريع بوجه عام مدني وتجاري ، كل هذا حدث بعد الهجرة الى المدينة ، ومنه ما حدث في أواخر حياة الرسول ، فكيف يكون «هو نفسه الذي حدد من اللحظات الأولى موقف الكتل السياسية منه ، وموقف الطبقات الاجتماعية المؤيدة والمعارضة له ... » !!

ان عقيدة **(لا اله الا الله)** نفسها هي صيحة تحرير .. ولقد أقبل المستضعفون على دعوة المسيح عليه السلام وهي لم تتضمن برنامجا تشريعيا اصلاحيا كان أو ثوريا ... ولكن هذا التحرير يستهل من (أعماق) النفس ، وتثمر هذه الحرية ثمارها في شتى مظاهر السلوك ومختلف مجالات الحياة ، لكن ينبغي ان توضع القضية وضعها الصحيح ، ولا تصير النتائج مقدمات ، ولا تعتسف الوقائع التاريخية للتدليل ، بتقديمها سنوات وسنوات !!

ويكفي شاهدا على الاعتساف والاستدلال بالآية : « واذا رأوا تجارة أو لهوا ... » الخ على ثانوية التجارة ، فهل عطف التجارة على اللهو يشعر أنهما بمنزلة سواء ؟ وأين اذن كل النصوص التي وردت في التجارة والتشريع للتجارة ؟ « الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم ، فليس عليكم جناح الا تكتبوها ... » الى غير ذلك من النصوص !! ومنها ما وضعه الكاتب في مستهل مقالاته منسوبا الى علي بن أبي طالب « ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيرا .. فانهم مواد المنافع وأسباب المرافق **وجلابها من المباعد والمطارح** في برك وبحرك وسهلك وجبلك .. » !

والكاتب يتجاهل نصوصا وردت عن النبي رفض فيها أن يحدد الأسعار ، لسبب من الاسباب !

وهل من أصول **(التفسير المادي)** نفسه ، أن يفترض في الاسلام أن يطفر ليقفز فوق مراحل وأطوار سلكتها الانسانية واستغرقت قرونا ، ليقرر (ثانوية) التجارة ، في بيئة تعيش على التجارة ، وعصر لايستطيع أن يعيش بغير تجارة ؟ هل ينسى الكاتب أن نزعة (التجاريين) كانت هي السائدة في مطالع عصرنا الحديث ذاته ، وكانت الصيحة الغالبة « دعه يعمل ، دعه يمر » .

« فتحي عثمان »

يتابع الأستاذ علي أحمد باكثير نشر مسرحيته

الكوميدية «حبل الغسيل» ابتداء من العدد القادم

نظرات

حول مؤتمر بغداد



للدكتور أحمد كمال زكي

ماذا فعلوا في بغداد ؟

أنا أسأل عن الأدباء والعلماء الذين أوفدوا الى بغداد باسم الفن اولا ، عندما يكون عملا انشائيا وعندما يكون تخطيطا مدروسا من اجل مستقبل اكثر جدة وجدية واسأل باسم البلد الذى مثلوه ثانيا لانهم ـ وقد اختيروا من قبل مسئولين ـ الصفوة التى تستطيع أن تقدم ما يعجز عنه غير الصفوة .

فى هذه الحدود اسأل ، وليس يعنينى اذا جرى قلمى الى ما قد يفسر بأنه غمز أو لمز أن يقال : موتور ! فانا اعترف بأنى دهشت وتألمت عندما لم يخترنى المسئولون مع ان بين ايديهم ان الرسالة التى اظفرتنى بالدكتوراه كانت عن ادب البصرة قديما ، وان كتابين آخرين ناقشت فيهما حياة بغداد وتاريخ بغداد صدرا لى مؤخرا واحدهما فاز بجائزة الدولة لعام ١٩٦٤ ، الاول عن الاصمعى والثانى عن ابن المعتز .

وكانت دهشتى أكبر عندما رايت فى الموجودين عددا اعتاد غشيان المهرجانات الأدبية حتى كأنما اصبحت حكرا له ، او حتى كأنه هو القادر ـ وحده ـ على أن يمثل الفن والعلم ويحمل ودودا غصن الزيتون يلوح به فتهش له كل الوجوه .

برغم هذا فان سؤالى يقف عند الحد الذى يقصد به الحقيقة فقط ، وفي داخل الاطار الذى رسم للمؤتمرين سواء اكان الاختيار دعوة مقدمة من حكومة العراق الشقيق ام قاعدة وضعها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بالقاهرة .

على انى احسب أن المناقشة تكون أجدى لو وضعنا هذه الحقائق التالية أمامنا :

اولا ـ هناك ادباء وعلماء دعوا للسفر فاستعدوا بالشعر والأبحاث العلمية ، ولم يسافروا .

ثانيا ـ هناك أدباء وعلماء وصلوا الى بغداد واسهموا فعلا في نشاطه بامكانياتهم التى لايمكن نكرانها .

ثالثا ـ وجود محصلات فكرية فنية تتوزع بين الشعر والبحث والاقتراح .

***

وعلى الرغم من خطورة كل من البحث وما اقترح في المؤتمر فانى سابدأ بالشعر محاولا تقييمه ـ من وجهة نظرى الخاصة ـ لأضع اجابة عما سألت عنه ، ولأبين موضوعيا حقيقة من حمل غصن الزيتون فى بلد الرشيد ، وسيكون من الضرورى مناقشة هؤلاء الشعراء الذين لم يظفروا بشرف تمثيلنا مع انهم دعوا للسفر بطريقة او بأخرى ،

فنتاجهم من غير شك يلقى مزيدا من الضـوء على معنى ان نمثل في الخارج اى تمثيل .

واحب ان ابدأ هنا بشـاعر كبير يريد ان يعيش في الظل وهو نور ، ويلقى على عاتقه معظم ما أصاب القصيدة الحديثة من تجديد مضمونا كان او شكلا ، ويدلل دائما على ان القصـيدة قوة كامنـة وراء « هندسة » الأبيات وان كان ثمة ما يميزها فالطاقة التى تجمع أسباب الحياة . لا كما نعيشها وانما كما تبدو من خلال لحظات التامل .

اريد ان ابدا **بمحمود حسن اسماعيل** وقد القى قصـيدتين احـداهما بعنوان «بغداد» وهى التى تعنينى لانها اعدت اعدادا متانيا للمهرجـان ، وفى اثناء وجوده بالكوفة انشد «نادى الضـياء» التى نشرت بالرسالة شبه مرتجل وكان فيها كأى شاعر يصدر عن « الجماعية » التى لا يعنيها الا « خلق » النغمة الشائعة .

اما «بغـداد» فأحسب انهـا لفتت المتمهرجين بايقاعاتها وتوزيع انغامهـــا توزيعا معقدا خرج به – فى رايى – عن نوتة الخليل الصـارمة . ولقـد استخدم الرجز ، ولكنه استخدام تفعيلة كما يفعل اصحاب الشعر المرسل وليس اسـتخدام بيت ، ولو ذكرنا ان هذا البحر الذى يأتى فى خمسة اضرب باربع اعاريض منها المنهوك المتضمن تفعيلة واحـدة فى كل شـطر ، والمشطور فى ثلاث ، والمجزوء المتضمن تفعيلتين فى كل شطر .. اذن لعرفنا كيف خالف محمود حسن اسماعيل هذا النظام المقرر أولا فى استخدامه تفعيلات خمسا بقافية ذات روى موحد ، وثانيا فى استخدامه مجزوءه بعروض وضرب لم ينص الخليل على شكلهما وكان بعض ابتكارات العباسيين ، فهو ينشد :

لو اننى ملاح بحر الحدث تحت الدجى رياحـه
واصبحت قلوعـه جنائزا شلت بهـا جراحـه
وسـمرت آفاقه وارتد موءود الصـدى نواحه

ويتبع بالمجـزوء فى اربع تفعيـلات تقليـدية ، ليعقب ثانية بالبيت ذى التفعيلات الخمس قبل ان ينشد :

فنهرهـا ملاح
فى لجـة الحياه
فى كفه مصباح
عب الدجى سناه

ورقـة الريـاح
تجرى على مداه
والعاصف المجتاح
تغـدو بـه صلاه

ويختم المقطع كله – والقصيدة ذات ثمانية مقاطع تجرى على هـذا النسق بصرامة والتزام مخلص – ببيتين خماسيين . وليس من شـك فى ان تكرار المقاطع على هذا النحو يشكل توزيعا اوركستراليا مركبا ، ولكنه محير يقتلع الشعور اقتلاعا ولاسيما بما يزجيه من صور لاتوجد الا عند محمود حسن اسماعيل .

لقد قيل لى ان بعض من حضروا المهرجان تخبط فى الحكم على قصـيدة بغداد ووصفها بالغموض ، فمتى كان الجمهور وحده محك التقدير ؟ ان شاعرا كأبى تمام أو كأبى العلاء – ولم يذع شعره بين العامة – لغموضه وتعقيده – ظل دائما حيث وضع نفسه على القمة .

وادع محمود حسن اسـماعيل فى قمته لألتقى بشاعر الشباب الشيخ ، الذى تخصص فى البحـر «الخفيف» مشرقا ومغربا ثم عـائدا كمـا يعـود السندباد !

انه **احمد رامى** فى سينية عجيبة المنشورة بهذا العدد ، وجد فيها بعدا جديدا يؤدى الى المزيد من درايته بدنيـا العباسيين ، وعندما اراد ان يتمثل ما تمثله فى « الخيـــام » لم ينس « أبا نواس » و (العباس بن الأحنف) فكانت سينيته امشـاجا خيامية ونواسية وأحنفية ، يقول :

فى هـوى بابل وحـب النـواسى
جئت اسرى على هـدى احسـاسى
امـلأ العين من مبـاهج بغـدا
د واسـعى الى حمى العبـاسى

ولما كان تكنيك الشاعر فى تلك القصـيدة لايخرج عن تكنيك العموديين فاننى أتـركه الى المضمون ، حيث يبدو نطاق المشاعر التى يلتقى فيها الشاعر بمسـتمعيه محـدودا . ولـكنه لايلبث ان يتسع – ولا سيما عندما تخدر الاذن – بايقـاع السين المسبوقة بمد الالف ، مع اشباع الايقاع نفسه بياء طويلة . وتصبح التجربة بعد ذلك نغما ينتظم كل بغداد منـذ كانت الى ماتكونه اليوم ، بغـداد العلم وبغداد الفن وبغداد الجهاد وبغداد الوحدة !

واذا كان الرئيس عارف علما ، فأمس كانت اعلام • ولكن من ينسى حافظ الجميل ايضا ومحمد القبانجي الذى فتن به حتى انشد له – فى الخفيف – بعد ان استمع الى غنائه ونظمه :

صادح دمعه على شفتيه
نغم تخشع القلوب لديه

ويصر الشاعر بعد ذلك او قبل ذلك على ان يتحدث عن ام كلثوم وهو يريد أن يتحدث عن دنانير مغنية العباسيين المشهورة ، وتسعفه مودة سمحة وخبرة لا يسبر غورها سوى عاشق مدنف مثله :

هى قلبى يذوب فى اللحن وجدا
ودموعى جرت على قرطاسى
انا أودعتها حنينى الى بغـ
ـداد فى عهدها الجليل الماسى

ثم لا نجد شيئا أكثر من هذا .. قفزات رشيقة وايماءات تثير الخواطر أو تنبهها فى دعة الى شىء كالحلم .. بلا رؤية محددة ، وان يكن لا ينقصها قط جرس موسيقى ولا ايقاع عاطفة ! وتصبح القصيدة كلها بذلك متعة حسية – كما متع النواسى بكاسه – تملؤنا بالبهجة والرضى والأمان •

والشاعر الثالث ممن اختيروا للمهرجان هو **صالح جودت** ، شاعر الغزل الذى طالما حفظنا غزله – العمرى – فى سنى شبابنا المبكر ، وكان مع محمود حسن اسماعيل واحمد رامى مكونا من مكونات فن الشعر كله •

وهو كالشاعرين زميليه لعب دورا فى حياتنا الأدبية ، فترجم للمسرح ، ونقد ، وقص ، وشتم خصوم العرب فى شكل الشعر المرسل •

وكانت قصيدته « تحية الى بغداد » من النوع الهين اللين الذى لا يتعب خاطرا ولا يشيم طائرا ، ووقوعها فى « المتقارب » سهل لها أن تقع فى أخطر ما يهاجم به الشعر العمودى واعنى « صخبيته » التى تقف عند شد الأذن ، مع أن صالح جودت ممن يعلمون قيمة البحر من حيث هو ايقاع ومؤثرات صوتية قائمة على مقاييس لها ما يبررها فى الداخل لحظة البزوغ والميلاد !

وانا لا افترض مطلقا أن الشاعر يجب ان يعرف طبيعة الأبحر كتفاعيل لها أبعاد وقوانين تنظم الزحافات والعلل – فمثل ذلك كمن يطلب من العصفور أن يحفظ النوتة الموسيقية – ولكنى افترض أن الشاعر كنصف عصفور يجب أن يصدر عن تلقائية تنتفض فى اللاوعى قبل أن تبدأ عملية التنظيم فى الوعى المثقف الذكى •

ومعنى هذا – وان أكن استطردت شيئا أن الشعر الكبير أو الشعر العظيم كما يسمى عند بعض النقاد هو الذى يستمد كيانه من بداهة اللاشعور وحصافة العقل • فهو عفوية ومحاولات تنظيم ! والشاعر الشاعر من يجعله فيضا وجهدا وارادة ، على أن يبدأ به من حيث تكون تاراته مما يسرع فيه أتيه ويسمح أبيه لا مما يبعد فيه قريبه ويستصعب ريضه كما يقول ابن قتيبة !

وتهيىء لنا تلك القالة الصائبة أن تثير فى « تحية الى بغداد » قضية الأصالة كلها فنسأل : هل وفق صالح جودت فى الوصول الى الحالة الشعرية التى ينقاد فيها الصعب بحيث لا يبدو عمله كما لو كان صادرا عن ارتجال ؟

فى تصورى انا انه لم يوفق ، لأن المسألة كانت فى نظره اى شىء لأنه صالح جودت ! وباسمه العريض والقائه الموفق – وهو كالشناوى من ابرز منشدى القصيد – يستطيع بايقاعات المتقارب البارزة المواتية أن يشغل مستمعيه عن المعاناة النفسية •• عن التجربة •• عن الفكرة التى لا تقنع بالانتقال من صورة الى صورة حتى ليقول :

اسائل أين ليالى الرشيد
وأين ملاعبه الزاهره
وأين الندامى وأين العبيد
يطوفون بالكاس والنادره

ثم يقول :

دعانى اليكم بنى الرافدين
هواى بداركم العامره
يسائلكم عن مضارب ليلى
وطلعتها السمحة الباهره

وبين القولين اقسام وتقريرات وهتافات تبرز من خلالها شهر زاد الجديدة التى تنبىء بأن عهد الرشيد راح ، وكان الرشيد كان عربيد الف ليلة وليلة فقط وليس أعظم خلفاء العباسيين – باستثناء المأمون – علما وثقافة وتشجيعا للعلماء ، وعكوفا على البحث وقدرة على مصانعة أمثال الأصمعى والكسائى والمفضل الضبى والنظام !

بل وكان بغداد فى التصور الفنى ليست الا حانة كبيرة تعج بالجوارى - المدافىء فى الزمهرير والمراوح فى الهاجرة - وتصبح علما عليها شهر زاد ، ويصول فيها من يقتنى العبيد ويجلس الى الندامى حتى اذا عن لهذا الجبار أن يفكر فكر فى ليلى السقيمة الشاحبة الضامرة .

كلا ...

واذا كانت المسالة مجرد نظم وصالح جودت قادر عليه بل هو من الذين يقدرون على المزج بين القوالب البلاغية المتداولة وما توحى به الفاظ الخيال والهيام والدفء والكاس ونحوها ، فهو من هذه الناحية قد وفق وان يكن لا يخرج عن فلك على محمود طه ومن لف لفه . وأما اذا كانت معاناة صادقة وتحديد رؤية أو رؤيا ، فليس من شك أنه فى ذيل التقليديين ، لأن صياغته لم تصل الى مستوى العظام منهم .

ومع ذلك فقد يجب أن أقول انه نجح نجاحا محدودا فى استغلال « تيمة » شهر زاد اذا صحت نظرته الفنية الى الرشيد وبغداد ، وانتهى الى أن العراق اليوم - وهو عراق الثورة - لم يعد طوعا للملوك بل طوعا لأبنائه فان الشعوب هى الآمرة . وما آخذه هو لينه بعد أن نفخ فى الصور وغرس الكرامة والعزم ، وذلك باستعباره على ليلى الشاحبة المهجورة مع أنه الصيدلى - يريد الطبيب - الذى يصف الدواء وياله من دواء :

أنا الصيدلى وعندى الشفاء
وفى جعبتى الحكمة الماهره
دواؤك ليلى دعاء الى الله
يسرى الى السدرة العامره

وبعد ، فقد قرأت لهذا الشاعر الذى ضل فى المتقارب عدة أبيات كتبها لليلى أمية وهو فى الطائرة الى دمشق . وفى رأيى أن هذه الأبيات أبرع وأروع من « تحية الى بغداد » كلها ، بل لعلها أروع شعره الأخير كله ، ولا أريد أن يسال احد : كيف ؟ ففيها النبض الدافىء والمعاناة الرشيدة !

وانتقل الى قصيدة **روحية القلينى** فى « حنين الى العراق » وهى من البسيط الفخم الضخم لألتقى بمن يريد ان يطاول السماء جاهدا ، ويذكرنى مطلعها :

نادى لهيف الهوى بغداد ناديني
من ماء دجلة يا بغداد رويني

بطبيعة بنائه - وليس عطاءه - بمطلع أكرم احمد شاعر العراق الذى أنشد فى المهرجان :

سلسل غناءك طاب الليل والسهر
والأنس والكاس والأنغام والوتر

ولكن المقارنة تنعدم اطلاقا . فبين روحية القلينى واكرم مثل ما بين الشابى ومحمود حسن اسماعيل ، دون أن يكون بين الشابى وشاعرتنا الجريئة اى تلاق على شيء .

ولقد كنت أظن - والبحر مسعف حقا - أن تضع روحية القلينى صورها قبالة « معنى » الرحلة لا سيما وقد راحت تحدد بالطريقة التقليدية حدود الوطن العربى :

فى الشام فى مصر فى بغداد فى يمن
هوى العروبة فى روحى وتكوينى

غير أنها برغم مقدرتها التعبيرية لم تنقل تجربتها الى الوقائع التى تضىء لنا أبعادها . ان الأنماط التعبيرية التى ازدحمت بها قصيدتها لم تكن الا صورا يوحى بها التداعى ، ويساعد على رصدها خبرتان : رحلة قديمة فى بلد الرشيد وفكرة وحدوية ، وكلتاهما قائمة على ضرب من ضروب الأحلام .

والموصل الحرة الفيحاء عشت بها
بالعطر تصبحنى بالحب تمسينى
قولى لهم سنقيم المهرجان غدا
فى القدس قولى سنمحو كل صهيونى

ملحوظة : كان من الممكن استغلال مذبحة الموصل كفكرة شعرية رائعة ! وعلى الرغم من أن الشوق قاسم مشترك بين الخبرتين - مع فارق اساسى هو أن حلم النصر ليس مجرد كلام - فان الشاعرة لم تستطع أن تخرج من عزلة نفسية جعلتها تطفو على الأحداث . فمن هؤلاء الصديقات اللائى كن يسهرن معها ؟ وكيف نقدر ليلة الوصل التى اذاقتهن المنى ألقا - كذا - على أن تصون الهوى بحق الوحدة ؟ بل ما علاقة « الصبر » بالحزن :

ما دمت ألقى جنود النصر تحميني

وعندى أن روحية القلينى قد وقعت فى كل أخطاء العموديين عندما يعتمدون ايقاع الوزن وتوالى القوافى فقط ، وهى فى ترددها بين النغمية المطلقة ومحاولة البحث عن « مضمون » أو « موضوع » على قاعدة الاثارة الأخلاقية بدرت امكانياتها كشاعرة من الممكن أن تقول شيئا له مغزاه ٠

ولا مجال هنا للاستعلاء على قيمة ما قدمته ـ فقد كان نظما على أقل تقدير ـ ولكننا لا نريد للشعر أن يكون مجرد قوالب تستغل فيه الاخلاق والمواقف السياسية مهما يكن لونها ٠ وانه ليصبح من السهل على أى بادىء أن يزعم أنه شاعر ما دام يستطيع ان يرجع الى كتاب فى العروض ثم يختار كليشهات حسب الطلب » ٠

ان روحية القلينى مجتهدة من غير شك ولها من الشعر ما ترتفع به على بنات جنسها ـ ولا أذكر الجنس الآخر ـ ولكنها يجب أن تعلم أننا كمتلقين نمقت شعر القوالب الجاهزة ، لأننا نحس بغريزتنا ان وظيفة القصيدة الجيدة ليست أن تقرر وتتصيد الصور بلا معاناة الا معاناة الرصف والتنظيم ٠

وبعد ، فقد سألتنى الشاعرة روحية قبل سفرها لماذا لم أختر فيمن وقع عليهم الاختيار ، وعندما قلت لها «لم أجد من أكلمه حتى أسافر» قالت ما معناه : ان شعرى وجد من يكلمه !

وأختم بشاعرة ناشئة أكبر الظن أنها وجدت من تكلمه، وهى **كريمة زكى مبارك** بنت الأديب الراحل الذى علمنا يافعين ونريد أن نفى له كهولا ، والذى كانت له فى العراق صولات تحدث فيها عن ليلى المريضة المدنفة ٠ لقد اختارت كريمة البحر الكامل لترحل فيه أو تعزف عليه ، وجاءت داليته « تحيتى الى بغداد » تبعا لذلك عامرة بالحركة ٠ واحسب أن ايثارها العروض التامة الصحيحة مع الضرب المقطوع « متفاعل » قد هيأ لها فرصة لا تعوض فى اقتناص النغمة الآسرة ٠ ولكن الشعر ـ كما قلت قبل ـ ليس مجرد أنغام ، كما أنه ليس صورا مرصوفة مرصوصة ، واذا زدنا قلنا انه ليس كنزا لا ينضب من المعطيات اللغوية والبلاغية ٠ الشعر معاناة من أجل أن تضاف احدى الخبرات الفنية الى الحياة ، والشعر موسيقى لمعنى انسانى كبير !

ويؤسفنى أن أبدأ هذه البداية وأنا بصدد قصيدة كريمة ، الا أنه يشفع لى ما اعتزمته من طرح المجاملة من ناحية وضعف الصياغة الفنية فى القصيدة من ناحية ثانية ٠

والصياغة الفنية فى رأيى معناها بناء « المعانى الجدية » بكل أدوات البناء الرفيعة ، حتى الخبرة يجب أن تكون فى مستوى الجدية المنشودة ، ولكنها تقول :

يا مزمعا سفرا الى بغداد
بلد السلام وموطن الأمجاد
ان جئت قلبك بالمحبة مفعم
ورأيت نهر الخير والاسعاد
فهنا العراق منابع العلم الذى
قد خلد الماضين من أجدادى
أنا لا أردد ما أقول تباهيا
فحوادث التاريخ من أشهادى
ان العراق نضاله أنشودة
أشدو بها لحنا الى أولادى
سبحانه القهار كرم عبده
عبد السلام فكان فخر الوادى
عبد السلام وناصر أعداهما
للعرب ربى خيرة للرواد

المعنى الجدى ـ واريد به الذى يرتفع فوق الجزئيات المتداولة ـ معقود ، والأدوات التى تربط بين أجزائه واهنة ، والصور التى قد تثيرنا ـ على الرغم من نغمها المواتى ـ لا تثير الا كما يمكن أن تثير قراءة صحيفة من صحف الاقاليم ٠

لقد قرأت ذات يوم قصيدة للشاعرة نفسها ونقدتها فى أحد أبواب هذه المجلة ، وقد نصحتها بشىء لا ازال أنصحها به ٠ ولكن هذا لا يعنى أن « تحيتى الى العراق » فى مستوى قصيدتها الأولى ـ وانما يعنى أنها لا تزال فى أول الطريق ٠

واخيرا فقد بلغنى أن **شريفة فتحى** أنشدت قصيدة أيضا ، وانشد مع المنشدين محمد التهامى ٠ ولقد كنت أرجو أن تكون قصيدتاهما أمامى وأنا أكتب هذا العرض ، اذن لأعطيت القارىء كل معالم صورتنا فى المهرجان ٠ واذ اقف أرجو أن أعود الى حديث الشعر فى المرة القادمة ، مقدما هذه القصائد التى أعدت للمهرجان ولم يهيأ لأصحابها أن يسافروا ، فتركت من أجل أن تنسى وكيف ـ بالله ـ يطويها النسيان ؟

« د ٠ احمد كمال زكى »

التجاوب

بقلم : ابراهيم الأبياري

أمّا عن الدلالة اللغوية لهذه الكلمة فما أظن أن عندي جديدا أضيفه الى ما حملته اياها كتب اللغة ، فهي تشرك في مدلول الكلمة طرفين يأخذان ويعطيان في الحديث ، يجيب هذا ذاك وذاك هذا .

وهي كما تدل على هذا الفعل بين الناس تدل على ما يقوم مقامه بين الطير والحيوان ، يقول الشاعر :

ومما زادني فاهتجت شوقا
غناء حمامتين تجاوبان

أى : تتجاوبان

تجاوبتا بلحن اعجمي
على غصنين من غرب وبان

الغرب والبان : ضربان من الشجر

ويقول شاعر آخر :

تنادوا باعلى سحرة وتجاوبت
هوادر في حافاتهم وصهيل

فهو يصف ابلا تهدر وخيلا تصهل ، جاعلا ترجيع الابل لهديرها والخيل لصهيلها تجاوبا بينها ، يجيب الفحل الفحل والفرس الفرس .

وهذه الدلالة الحسية أفضت الى دلالة معنوية ، هي من الدلالة الأولى دون خروج على المعنى العام .

ولقد أصبحت الكلمة تدل على المشاركة والمشاكلة في أمر من الأمور ، فاذا ما كان بين طرفين مشاركة على شيء أو مشاكلة في شيء قيل : ان بينهما تجاوبا، يستجيب أولهما لثانيهما كما يستجيب ثانيهما لأولهما . وكما تجاوز المعنى الأول الانسان الى غيره تجاوز هذا المعنى الثاني الانسان الى غيره ، فأصبح التجاوب يطوي في ظله بهذا المعنى اللاحق ما قد يكون بين الطير والحيوان مما تجمع بين طرفين منه ألفة ، ثم ما كان من المواد التي يكون في احداها تقبل لآثار أخرى .

ونحن اذا قلنا ان ثمة تجاوبا ثقافيا او علميا او فنيا او أدبيا أو اجتماعيا ، نريد أن ثمة ألفة بين ثقافة وثقافة أو علم وعلم ، أو فن وفن ، أو أدب وأدب ، أو فكرة اجتماعية وأخرى ، ولن نكون قد أبعدنا عن دلالة الكلمة بمعناها الجديد .

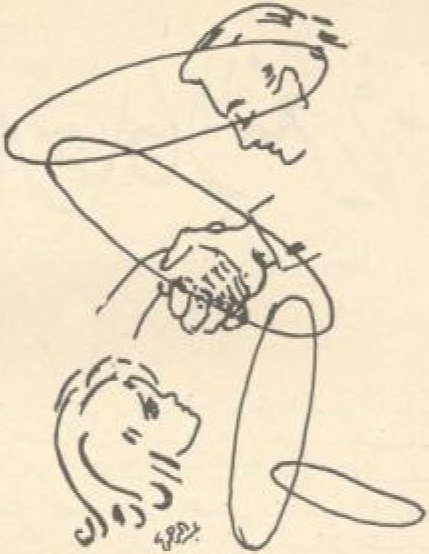
والتجاوب بهذا المعنى الاصطلاحي الذي انتهيت بك اليه هو سر النجح لكل ما في الحياة من نجح ، تحس ذلك في حياة الناس منذ خلق الناس ، فحين يكون التجاوب تكون الألفة والوفاق ، ويكون الأخذ والاعطاء ، ثم يكون الرأي الذي يجمع الشتات ويمضي الى السداد .

وما خالفت مملكة الحيوان مملكة الانسان الا بعوزها الى هذا التجاوب ، والأمم حين تنحط الى درك الحيوان فتخرج أمة على أمة ، تكون قد فقدت التجاوب .

ولا أحب أن أضيف الى ما قلت التجاوب بين المواد الذي هو سر الوجود وسر بقائه ، فذلك أمر تغنيني عنه الاشارة ، وما هو من حديثي .

ولست أحب في حديثي هذا أن أتناول التجاوب بمعناه العام ، بل قصدي أن أتناوله بمعناه الخاص، أتناوله في بيئة معينة ، وأتناوله في ناحية من نواحي الحياة بعينها .

قصدي ان أتناول التجاوب في البيئة العربية ، وأن أتناوله في ناحية الثقافة ، فأنا من الذين يؤمنون بأنه اذا لم يكن ثمة تجاوب ثقافي في البيئة العربية فلن تكون وحدة ثقافية ، ولن يكون بعد هذا ذلك الطابع المميز الذي تمتاز به أمة ، ولسوف تتفرق بها السبيل فاذا هي أشتات لا يدفع بعضها عن بعض ، وسرعان ما تتخطفها ثقافات مختلفة ،



فاذا الأمة القوية المجتمعة افراد فى أمم ، واذا هم قد ماعوا فى غيرهم بعد أن فقدوا كيانهم المتماسك .

وهذا التجاوب الثقافى الذى أنشده للبيئة العربية ليس فى كلمات تقال ، بل هو وعى بمقوماتنا كامل يجب أن نوقظه ونمكن له ونسهر على الذياد عنه ، لا نفرط فى القليل فنتدل الى التفريط فى الكثير .

وليست مقوماتنا كأمة عربية هى الشىء الذى أحب أن أعرف به أو أشير اليه ، فليس فينا بحمد الله من يجهل هــذه المقومات التى تعبر عنها أول ما تعبر اللغة ، ثم أدبنا وعلمنا وفننا التى يحكيها تراثنا الخالد .

وانما الشىء الذى أحب أن أتحدث عنه هو هذا التجاوب الذى قصدت اليه فى هذا المقال .

فنحن اذا أجزنا للغة مثلا أن تعيش على السنة فئة وتموت على السنة فئات لم نحقق لها هــذا التجاوب الذى هو سر بقائها وشيوعها وتدرجها ثم اتساعها وغنائها . فاللغات لاتكتب لها الحياة النامية المطردة الا اذا شاعت لتأخذ من الكل وتعطى الكل وتكون لغة الكل أو ان هى عاشت قاصر لم تستوعب الحياة وفقدت قدرتهــا على أن تجتمع الأمة كلهــا عليها .

ولكى نحقق للغة شيوعها الذى اليه نهضتها يجب أن نحقق لها أولا التجاوب ، وهذا التجاوب لن يكون الا اذا جمعنا الفئات المختلفة عليها .

ولن يقعدنا عن هــذا التجاوب أن اللغة جمدت لهجرنا اياهــا حقبا ، فالاستسلام لليأس افلاس وتفريط ، وليس هو خلق ثورتنا على الجمود والخمود وهبتنا لما سيكون .

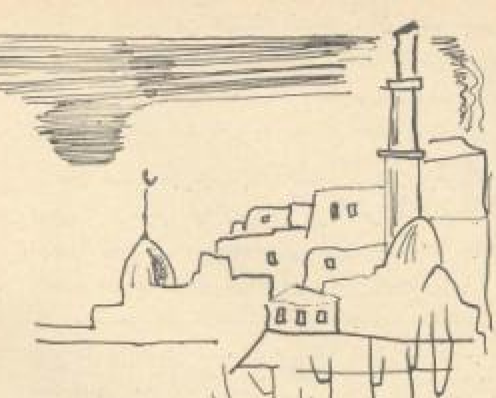
اذن فنحن ملزمون بهذا التجاوب ، ملزمون بأن نمكن له وندعو اليه ونؤاخذ على التفريط فيه ليكون تجاوبا كاملا نسمع صداه فى كل مكان ، لا تجاوبا ناقصا نسمع صداه فى ركن ونفقد صداه فى ركن آخر ، فنحن اذا ارتضينا هذا التجاوب الناقص لن نبلغ ما نريد من شــيوع اللغة الذى سوف يفقها بعد قليل لغة كاملة تملى فى كل شىء ولا يعز عليها شىء .

وحالنا مع أدبنــا ومع علمنــا ومع فننا ليست تخالف حالنا مع لغتنا ، فالتجاوب فى هذه كلهــا يكاد يكون مفقودا لا نحســه الا فى اركان محدودة وفى محيطات معينة من أجل ذلك عاش الأدب كما عاش الفن ، وكما عاش العلم لا شيوع لواحد منهــا هذا الشــيوع الذى يظل الناس كافة فيأخذون ويعطون فى ظله ، فاذا الأدب والعلم والفن قد أخذ كل طريقه الى التجدد والتدرج والسعة والنمو .

وسوف يكفينا التجاوب هذه الدعوات الهادمة التى جاءت عن قصد حينا وعن ضعف حينا آخر ، فنحن اليوم بفقدان هذا التجاوب بين طامع فى النيل من مقوماتنا مقوما بعد مقوم ، وبين متســهل يلين به تسهله الى أن يخلع عنه هذه المقومات مقوما بعد مقوم فاذا مكنا للتجاوب فوتنا على القاصــد قصــده ، ورددنا المتسهل الى التشدد ، ومضينا بكل مقوماتنا الى الأمام ، تشارك فيها الأمة العربية كلهــا أخذا واعطاء ، واذا هى قد عادت اليهــا الحياة ، واذا اللغة التى تستعصى اليوم على الحياة ســوف تلين للحياة ، واذا أدبنا الذى جمد عن أن يشب ســوف ينطلق . وقل مثل هذا عن كل ما يتصل بمقوماتنــا فنا وعلما وخلقا .

« ابراهيم الابيارى »

مهرجان الشعر في بغداد





في هوى بابل وحب النواسي   جئت أسرى على هدى احساسي
املأ العين من مباهج بغداد   وأسعى الى حمى العباس
وأرى دجلة الذي فاض بالخير عليها   وماج بالايناس
ورفاقا الى فؤادي أحباء   على العين ودهم والراس
جمعتني بهم دياري فكانوا   في مراح الصبي أعز الناس
فيهم « حافظ الجميل » وفيهم   صادح (١) فوق غصنه المياس
ذاك يلقي البيان سحرا وهذا   يزن المشجيات بالقسطاس

***

لم أزركم من قبل هذي ولكن   سبقتني اليكم انفاسي
رددتها صداحة الشرق انغاما   عذابا ندية الأجراس
هي قلبي يذوب في اللحن وجدا   ودموعي جرت على قرطاسي
أنا أودعتها حنيني الى بغداد   في عهدها الجليل الماسي
حيث هارون في سنى علاه   سيد الشرق في الندى والباس
ودنانير في المقاصير تشدو   بالنسيب الشهي من عباس (٢)

***

والجواري يرسلن وسوسة الحلي   ويرفلن في بهي اللباس
يتهادين في الغلائل أطيافا   تراءى لسابح في نعاس
ويرددن ساحرات الأغاريد   على وقع مزهر ونحاس

---

(١) الموسيقار محمد القبانجي (٢) ابن الاحنف







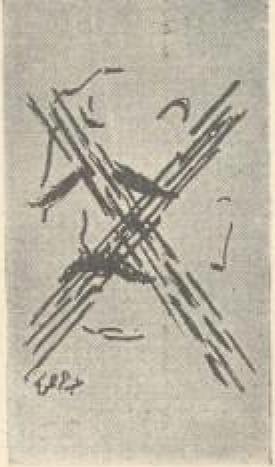
للشاعر: أحمد رامى

هن فى الروض بلبل يبعث الشجو وفى الخدر شادن فى كناس
ايه بغداد والليالى كتاب ضم أفراحنا وضم المآسى
عبث الدهر فى بساتينك الغناء والدهر حين يعبث قاسى
ودهاك المغول بالطلعة النكراء يبغون قطف ذاك الغراس
فتصديت للغزاة وجابهت أذاهم مثل الجبال الرواسى
ثم نافحت عن حمى الحق والشرق واصبحت شعلة النبراس
يقبس القابسون منك سنى العلم فتعطيهم بلا مقياس
وتديرين فى الوجود منارا ثابت الركن مستقر الأواسى

***

يا بنى العم آن أن نجمع الشمل ونبنى عل متين الأساس
ولنا بين (عارف) و (جمال) مستتب عل المودة راسى
فاصنعوا المعجزات من عزمنا الماضى ومن صبرنا وطول المراس
وصلوا الحبل واستقلوا سفين النصر تبلغ بها أمن المراسى
ثم نعل للعرب أعلام مجد ونحيى معالم الاعراس
وانا بينكم أردد شعرى وعل ذكركم اشعشع كاسى





ولا استالينية أيضاً..

بقلم: محمد جلال كشك

يظن البعض ان المكارثية هي وحدها التي تضطهد الفكر وتطارد المفكرين ، وانها لذلك هي وحدها التي تستحق مقاومتنا، وتختص بلعناتنا .. وهم بذلك ينسون مبدءا هاما من مبادئ الجدلية . فالمكارثية لا يمكن أن توجد الا مع نقيضها ، وقد زالت بزوال هذا النقيض .. ونقيض المكارثية هو الاستالينية.. فعندما كان الناس يطاردون باسم مكافحة الشيوعية في امريكا ، وتفسر كل مواقفهم على اساس الولاء للحزب الشيوعي ، والعمالة لدولة اجنبية ، لمجرد انهم يعترضون على سياسة الاحتكارات الامريكية .. وعرف ذلك اللون من الارهاب الفكري باسم المكارثية نسبة الى مخترعها وبطلها مكارثي الذي ثبت بعد ذلك انه منحل ومرتش .. بل لا يؤمن بحرف مما كان يقوله .. وعلى الجانب الآخر كان الناس يشنقون ، والفكر يطارد أو يصفع بسيور حديدية من التعريفات في اعنف صور الحكم الارهابي المعروف باسم الاستالينية ، تحت ستار مكافحة الاستعمار والرجعية وحماية مصالح الجماهير الكادحة والخوف على الحزب الشيوعي والحركة الشيوعية الدولية .. ثم تبين أن ستالين قد قتل من أعضاء الحزب الشيوعي ، اضعاف ما فعلت به القيصرية ، وان ما من احد قد اضر الشعب السوفيتي والحركة الدولية مثلما اضرها ستالين ..

وخرجت البشرية بتجربة مريرة وغنية في نفس الوقت ، هي ان المكارثية والاستالينية وجهان لعملة واحدة ، ونقيضان يعيشان معا ويسقطان معا ..

واشتراكيتنا ترفض المكارثية والاستالينية ، ترفض مطاردة الفكر ، وهي ايضا ترفض المخاتلة والمخادعة وان يعلن المرء غير ما ينوى ، وان يستغل مركزه وسلطته في ان يسرب من الآراء غير ما اؤتمن عليه ورضي به .. ترفض ان يقول البعض ، ويأبون على الناس ان يردوا عليهم .. فالكلمة تواجه الكلمة والشيء يسمى باسمه ما دام الدليل يدعم هذه التسمية .. ولكن البعض الذي يصرخ مستعيذا من المكارثية له منطق عجيب وغريب.

مثلا :

اذا قالت مجلة « الطليعة » ان الجامعة العربية منظمة سياسية تعدت « الحدود القومية الضيقة » ، وسلكتها ضمن منظمات مثل « مؤتمر الشعوب الافريقية الأسيوية » و « ومؤتمر الشعوب الافريقية » .

فلا يجب ان نعترض دفاعا عن قوميتنا العربية الواحدة ولا يجوز أن نقول ان هذا الكلام يعد اعترافا وتسليما بالتقسيم المصطنع بين الدول العربية .

واذا قلنا ان الميثاق والدستور قد نصا على انها امة واحدة وقومية واحدة ، وبالتالي فان هذا التعريف في مجلة الطليعة يبتعد عن راي الميثاق والدستور .. اذا قلنا ذلك فنحن ارهابيون مكارثيون .. نستعدي الشرطة ونرعب المفكرين !

واذا كتبت « الطليعة » بحوثا تدعو لالغاء الملكية الفردية في الارض ، فلا يجوز ان نعترض ، أو ان نستشهد بالميثاق والدستور ، وتصريحات قائد الثورة ومعلمها .. والا فنحن نرفع راية الارهاب ونخوف من الشيوعية !

واذا كنا نعلم ان معرف الجامعة العربية ، شيوعي بحكم القضاء ، وان للشيوعية والشيوعيين آراء ومواقف في القومية العربية والوحدة العربية ، كلفتنا تجربة وحدوية ، وما لا يقل عن ثلاثين الف شهيد في العراق .. فلا يجوز ان نقول ذلك ، لان الذين يتحدثون عن الشيوعيين هم الرجعيون .. الذين اضيروا بالقرارات الاشتراكية ، ويفزعهم التطور الاشتراكي !

ونحن لم تصبنا القرارات الاشتراكية الا بالخير .. رفعت دخولنا ، وخفضت تبعاتنا ، وامنتنا من الخوف والجوع .. وتتطلع الى المزيد من الاجراءات الاشتراكية ، فنحن كنا وسنظل دائما فى الجانب الذى يأخذ كلما أعيد توزيع الثروة .. بينما نعرف ويعرف الناس ان معظم نجوم الفكر الماركسى ، اما قد مستهم الاجراءات الاشتراكية فى ثرواتهم ، او فى اموالهم عن طريق المصادرات ومع ذلك فنحن الذين لم نتملك لا نحن ولا آباؤنا منذ قرون ، رجعيون لأننا ندافع عن عروبتنا وعن ديننا.. عن المفاهيم التى حددتها اشتراكيتنا ونص عليها الميثاق ، والتزم بها الدستور ! ..

والنغمة المحببة عند الذين يتحدثون عن اليمين والرجعية ، هى الزعم بأن مهاجمة الشيوعية مبعثها الغيرة من الشيوعيين لأنهم السابقون بالدعوة الى الاشتراكية ..

ولعل هذا الزعم الذى يروجونه الآن انما يتكئ على عبارة وردت فى مقال الاستاذ « احمد بهاء الدين » عن قصة الشيوعية فى مصر .. عندما قال ان الذين آمنوا بالاشتراكية ايمانا متأخرا طارئا ، واكاد اقول منافقا ، بعد ان تحول الموج ، يهمهم جدا ان يتهموا كل من دعوا الى الاشتراكية منذ زمن بأنهم شيوعيون » ..

والحديث عن الذين دعوا الى الاشتراكية منذ زمن ، لا يمتد الى الشيوعيين بحال من الاحوال ..

الشيوعيون لم يدعوا للاشتراكية فى الوطن العربى .. لا قبل عبد الناصر ولا فى ظله .. بل عارضوا كل دعوة لها باعتبار ان مثل هذه الدعوة السابقة لأوانها تضليل ، لأن الاشتراكية لها ميقات معلوم ، بعد اتمام الثورة البورجوازية الديموقراطية ولها رجال موسومون ، هم الحزب الشيوعى ..

والشيوعيون كما قسمهم الاستاذ احمد بهاء الدين فريقان : « فريق مازال عند موقفه » .. اى اعداء للثورة والاشتراكية ، ورفض الميثاق والقوانين التى تمنع قيام تنظيم خارج الاتحاد الاشتراكى .. وفريق « اقتنع بعقم موقفه القديم » ..

واولئك هم الذين قال عنهم الرئيس انهم قد منحوا فرصة لعل « حالهم ينصلح » .. فهم ما زالوا تحت التجربة لم يثبت ايمانهم بعد .. او على افضل تقدير اول من كفر وآخر من آمن..

كذلك اشار الاستاذ محمد حسنين هيكل الى موقف الشيوعيين بعد اعتراف خروشوف باشتراكيتنا بقوله : انقسم معظم الشيوعيين العرب الى قسمين : قسم وافق طاعة وامتثالا .. وربما اقتناعا .. وقسم صعب عليه أن يتخلى عن المسلمات القديمة واعتبر ان خروشوف قد طعنه فى ظهره » ..

فعلى احسن الفروض مرة اخرى ، ان ذلك القسم الأول ربما يكون قد اقتنع ابتداء من مايو ١٩٦٤ وهو كما ترى اقتناع اخير جدا .. وبعد ان اغرقهم الموج .. كما امن فرعون بعد ان انطبق عليه البحر ..

وذلك ينهى خرافة القول بأن الشيوعيين او الماركسيين هم الاشتراكيون الاصلاء ، لهم سبق الدعوة وفضل الارتياد ، وان الافراج عنهم كان اقتناعا بصحة ما دعوا اليه .. لا فان الافراج عنهم كما اعلن ، كان خطوة طبيعية مصاحبة لصورة الحياة الدستورية وانتهاء القوانين الاستثنائية .. ولعل «حالهم ينصلح» فليس لهم بيننا مكان القائد ولا المعلم بل على احسن الفروض مكان التائب وندعو لهم بتوبة نصوح !

ثم يدور السؤال حول موقف اليمين .. يقال انه مذعور من الشيوعية والشيوعيين ؟ .. غير صحيح .. فمتى كان اليمين يخشى الشيوعية فى مصر ؟ وماذا بقى لليمين ليخشى عليه من الشيوعية ؟ بعد ان قصمت اشتراكيتنا ظهره وجردته من كل ما جمعه من استغلال الجماهير .. بل استطيع القول ان اليمين برغم كل ما يشيعه ويروجه فى خبث ـ اخر من يصدق ان بلادنا شيوعية او تسير نحو الشيوعية ..

الاشتراكيون هم الذين يقلقهم النشاط الشيوعى ، ولا اقول يتملكهم الذعر ، فما دام فينا عبد الناصر ، نفديه بأرواحنا وأولادنا ، فلن يعرف الذعر سبيله الى قلب عربى ..

وقد اعترف كل من كتب فى موضوع الشيوعية حتى الآن بوجود فريق شيوعى ما يزال مصرا على موقفه متمسكا بتنظيمه ، معارضا حله .. فنحن لا نحارب اشباحا ولا نتخيل اوهاما ، ولما لم يكن فى سلطتنا او فى امكاننا معرفة من الذى حل نفسه ومن الذى « يتشرنق » .. فان حسبنا ان نناقش المواقف ..

والاشتراكيون يوقنون ان بلادهم ليست شيوعية ، ولن تكون لا لأنها محروسة بالاولياء ، بل ثقة بالزعيم ، وايمانا بالشعب ، ومن ثقتهم وايمانهم تصديهم للفكر الماركسى ومقاومتهم للتخريب الشيوعى حيثما كان ..

الاشتراكيون يؤمنون بدينهم وقوميتهم ، ويحرصون على المكاسب الاقتصادية التى منحتها لهم اشتراكية ناصر ، وبالنظام الديمقراطى الذى اقامته اشتراكية عبد الناصر .. والشيوعية ضد ذلك كله ..

قال الاستاذ احمد بهاء الدين فى تحديد الخلاف بين الشيوعيين والاشتراكيين :

« ان الشيوعى يرفض وجود الدين ويحارب العاطفة الدينية » .
« بينما الاشتراكى يعترف بالدين ويحترم الحرية الدينية » ..

فهل يخاف اليمين على الدين ؟ ومتى كان لليمين دين ؟ .. وهو المتحلل الفاسق عدو الدين نصا وروحا !

اليمين ليس مذعورا .. بل لعله يسر اذا ما حاول الشيوعيون المساس بالدين او زعزعة قيمه ..

والقلق انما ينتاب الاشتراكيين الذين يؤمنون بالدين .. ومن حقهم ان يعترضوا اذا وقف محاضر فى نادى الوافدين يقول انه لا يعتقد بالاشتراكية الاسلامية ، وان اشتراكيتنا تعترف بالدين حتى لا تلقى متاعب فى افريقيا .. ولا يغفر له ان يقول ان هذا رايه الشخصى ، فالراى الشخصى ليس مكانه نادى الوافدين ..

وقال الاستاذ محمد حسنين هيكل فى مقاله التاريخى عن خطايا الشيوعيين : « ان النشأة الاولى للحركة الشيوعية فى مصر وسيطرة اليهود الاجانب عليها ، سببت لها بعدا عن التيار الوطنى المتدفق .. واكاد اقول عزلة عن هذا التيار الوطنى » .. « لم تستطع الحركة الوطنية ان تستكشف حقيقة التاريخ العربى الواحد ، والنضال العربى الواحد ، والمصير العربى الواحد » ..

وقال الاستاذ احمد بهاء الدين ان الشيوعيين انكروا الاعماق الحقيقية للقومية العربية وعجزوا عن فهمها فى الوقت المناسب .

فلماذا يخاف اليمين على قوميته ؟ .. ومتى كان لليمين قومية؟! وقد باع بلادنا فى سوق الاحلاف والتبعية ، بل لم يتورع عن ضرب الوحدة دفاعا عن مصالحه ..

اليمين العميل يتمنى ان تصبح العمالة منطق الجميع .. فلماذا يخاف ولماذا يذعر ؟

الشيوعيون يؤمنون بديكتاتورية الطبقة ، وديكتاتورية الحزب الواحد .. فهل لهـذا يخاف اليمين ؟ .. هل يتمتع اليمين بالسلطة ليخاف عليها ، الم يجرده تحالف قوى الشعب من سلطاته ونفوذه ؟ .. الأعقل ان تحالف قوى الشعب هو الذى يعارض ديكتاتورية الحزب الواحد .. اما اليمين فهو يتطلع الى هزيمة هذا التحالف ..

ام يخاف اليمين على ملكيته ؟ .. الشعب نزع هذه الملكية ، وتحالف قوى الشعب يسحق آمال واحلام اليمين فى استعادتها والهمسات الشيوعية ، والتفسيرات الماركسية انما تدور حول ملكية الشعب لا ملكية اليمين ..

الأقرب للاحتمال هو التقاء اليمين مع الشيوعية ، ولو بالأعمال دون الاتفاق المباشر ، فرصة الرجعية الوحيدة الآن هى التخريب والتشكيك فى طبيعة اشتراكيتنا ، والنشاط الشيوعى يعطيه المناخ المناسب لنشر تشكيكه ..

والتقاء اليمين والشيوعية ليس مستحيلا ، فقد رايناه اكثر من مرة ، وقد شهد بذلك الاستاذ احمد بهاء الدين عندما قال « ولما كان الاستعمار الاجنبى واليمين الرجعى فى المنطقة العربية كلهـا حريصا فى ذلك الوقت على تحطيم الوحدة ، فقد وقف الكل فى صف واحد مع الشيوعيين » (المصور ٤ مارس ١٩٦٥) .

اذن فقد تحالف الشيوعيون مع اليمين الرجعى والاستعمار الاجنبى .. وبديهية ان الرجعية هى التى تعادى الشيوعية بديهية فاسدة .. وقد حاربنا الشيوعية والشيوعيين فى معركة العروبة ١٩٥٩ ولم نسقط فى احضان الرجعية ، بل هم الذين سقطوا ..

ثم كيف ثار حديث الشيوعية والشيوعيين ؟! .. اذا لم تخنى الذاكرة كان اهم حديث هو مقال الاستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الاهرام ، الذى استعرض فيه بداية الشيوعية واستعانتها بالجنس والمال ، ونشاتها على يد اليهود الاجانب ، وعزلتها عن الحركةالوطنية واصطدامها بالثورة فى سنوات ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ .. اى جميع سنواتها الحاسمة ؟ واشار الى احتمال مساسهم بالدين او محاولة الانتشار فى حيز اكبر من حجمهم الحقيقى ..

ثم نوقش الأمر فى اجتماع الرئيس مع الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى ، معقلنا الحصين ضد اليمين والرجعية ، وجاءت توضيحات الرئيس الحاسمة ..

وعلى اثر ذلك كتب الاستاذ احمد بهاء الدين قصة الشيوعية فى مصر ، معيدا للاذهان تحالفهم مع الاستعمار البريطانى والرجعية العربية وتامرهم على الوحدة ..

اذن فحديث الشيوعية قد نوقش من قبل مصادر لا تاتيها شبهة اليمينية او الرجعية .. والذين دافعوا عنهم اعترفوا جميعا بوجود فريق متمسك بالتنظيم الشيوعى ..

وقد سلمنا بان استمرار النشاط الشيوعى ، فضلا عن مخالفته لميثاق العمل الوطنى ، وتحالف قوى الشعب ، فهو ايضا يعطى اليمين فرصة التشويه والتشنيع والدس ..

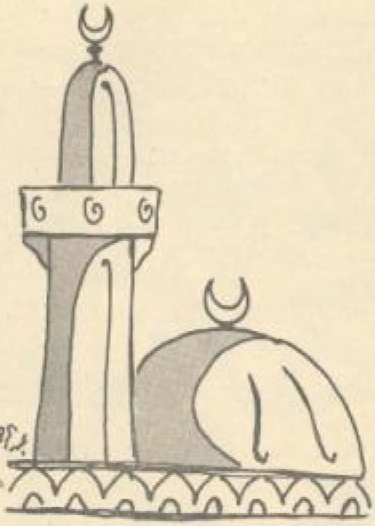
ولا شك ان مما يفسد دعايات اليمينيين وجود فكر اشتراكى معارض للشيوعية واضح فى معارضته اصيل فى خلافه مع الشيوعيين .

وكما ان اشتراكيتنا تتمدد وتقوى خلال صراعها مع اليمين فهى ايضا تكتمل ملامحها ويكتمل نموها خلال صراعها مع اليسار الماركسى وبالنسبة للشيوعيين .. ونعنى اولئك الذين اعلنوا ايمانهم بالاشتراكية العربية والميثاق والقانون الاساسى للاتحاد الاشتراكى .. ان هذا الفريق مطالب بالتخلى تماما عن محاولة التميز .. محاولة ادعاء حق لنفسه باسم « الاشتراكيين الأصلاء » او توهم ان المجتمع مطالب بتعويضه ماديا عن سنوات الابعاد التى كفر بها عن موقفه الخاطئ ، والمنحرف فى لحظة من احرج لحظات الامة العربية .. وبقدر مايتجح فى جعل الأمة تنسى انه كان ماركسيا وعاش فترة الفتنة القاسمية ، بقدر ماتكون فرصته فى الخدمة اكبر .. فالتنظيم قد يكون مجرد شلة تحاول ان تنال وضعا خاصا بغير مؤهلات الا الحلقية والادعاء والتعصب ضد الآخرين والزعم بان دور الذين بنوا الاشتراكية قد انتهى بخروج اصحابها الشرعيين من السجون والمعتقلات !

بذلك نقطع الطريق على اليمين الرجعى .. ونسحق المكارثية والاستالينية ايضا

محمد جلال كشك

العقاد وموقفه.. فى الدفاع عن الاسلام



بقلم : محمد عبد الله السمان

(٢)

كلما قرأت للعقاد شيئا فى الاسلام تمثلته مرابطا فى سبيل الله ، والفرق بينه وبين المرابطين المسلمين على الحدود ، هو أن هؤلاء يحملون سلاحهم ، والعقاد يحمل قلمه ، وثمة فرق آخر جدير بالاشارة ، هو أنه من اليسير أن يوجد الأبطال والسلاح ليذودوا عن حدود الوطن الاسلامى اغارات الأعداء ، ويصدوا مناورات المتربصين بديار الاسلام ، ولكنه من العسير أن يوجد مفكرون كالعقاد ، وأقلام كقلمه ، تدفع عن الاسلام مناوشات المناوشين له ، وتذيب أحقاد الحاقدين عليه .

ان أبرز كتب العقاد التى كانت ميدانه فى الدفاع عن الاسلام ، كتاباه « حقائق الاسلام وأباطيل خصومه » و « ما يقال عن الاسلام » وليس له هذان الكتابان وحدهما ، فهناك كتب أخرى ، ومقالات عديدة لم تنشر بعد ، ولكنى اقصد أهمية الكتابين فى هذا المجال ، وأنهما ضروريان لكل مثقف يحسن الظن بالاسلام ، ولكل منحرف لديه استعداد للوصول الى الحق .

الكتاب الأول أصدره المؤتمر الاسلامى ، وربما كان فى تقديم السيد **أنور السادات** للكتاب ما يلفت النظر الى أهمية الهدف منه ، فهو يقول :

« ... فقد طال التصدى للأديان بقصد النيل منها ، وبغير قصد ، واستمرأ الكثيرون التخفف من أحكامها ، بدعوى يدعونها وبغير دعوى ، وهان على بعض الهيئات أن تشكك فيما فرغ منه العلم ، وحار بين هؤلاء وهؤلاء كثيرون ، حتى أصبح الدين شكا وتظنينا ، وهذه ظاهرة من شأنها أن تشغل بال المؤتمر الاسلامى ، وتبلغ من عنايته واهتمامه مبلغا بعيدا » .

« **وها هو** ذا كتابه « حقائق الاسلام وأباطيل خصومه » يخرجه المؤتمر الاسلامى لكل معنى بالثقافة راغب فى تمييز الحق من الباطل ، راج أن يقف على أصول الاسلام ومبادئه ، ليحقق المؤتمر غرضا من أغراضه ، هو نشر الثقافة الدينية خالصة مما يشوبها من شبهات ويعلق بها من ريب » .

اذن فمنهج العقاد فى هذا الكتاب يقوم على تقديم ثقافة اسلامية خالصة ، متضمنة دحض الشبهات ، وازهاق المفتريات ، واسكان نوازع القلق ودوافع الحيرة ، وعلى الرغم من أن صفحات الكتاب لا تعدو الثلاثمائة صفحة ، الا أن العقاد قد استوعب فى هذه الصفحات دراسة متكاملة عن الاسلام ، فى جوانب العقائد ، والمعاملات والحقوق ثم الأخلاق والآداب ، وكان هدف العقاد أن يعرض البناء الاسلامى راسخا على قواعد متينة ، لا تهزه أعنف عواصف الشبهات والمفتريات ، ولا ترجه مناوءات

المتسلطين عليه من الجبهات التى قامت رسالتها على الكيد له ، والنيل من أصوله وفروعه على السواء ·

يخصص العقاد فى فاتحة الكتاب خمسا وعشرين صفحة للدفاع عن الدين كله ، فهو يرى انه لا محل للكلام على فضل دين من الأديان ما لم يكن أمر الدين كله حقيقة مقررة ، أو ضرورة واضحة ، ثم يجعل القضية جوابا عن سؤالين :

هل للدين حقيقة قائمة ؟ وهـل للدين ضرورة لازمة ؟

سؤالان متشابهان ، بل سؤال واحد فى صورتين مختلفتين ، وفى الاجابة عليهما يشير الى شبهتين من اكبر الشبهات التى تعترض عقول المتشككين والمنكرين، هما شبهة الشر فى العـالم ، وشبهة الخرافة فى كثير من العقائد الدينية ، وخلاصة شبهة الشر أنهم لا يستطيعون التوفيق بين وجود الشر فى العـالم وبين الايمان باله قدير كامل فى جميع الصـفات ، وخلاصة شبهة الخرافة أنهم لا يستطيعون التوفيق بين العقائد وبين المحسوســات والمعقولات التى تتكشف عنها معارف البشر كلما تقدموا فى معارج الرقى والادراك ·

***

فى مجال العقائد يعرض العقاد للعقيدة الالهية، فالاسلام جاء من جوف الصحراء العربية باسـمى عقيدة فى الالـه الواحد الأحـد ، صححت فكرة الفلسفة النظرية كما صححت فكرة العقائد الدينية فكان تصحيحه لكل من هاتين الفكرتين فى جـانب النقص منها ـ أعظم المعجزات التى أثبتت له فى حكم العقل المنصف والبديهة الصادقة أنه وحى من عند الله ·

فارسطو ـ الذى أجمع على أن صفات الاله عنده قد ارتفعت الى ذروتها العليا من التنزيه والتجريد ، يرى فى الاله كائنا ازليا أبديا مطلق الكمال ، لاأول له ولا آخر ، ولا عمل له ولا ارادة ، كمـال مطلق لا يعمل ولا يريد ، أو كمال مطلق يوشـك أن يكون هو والعدم على حد سواء ، هذا ارسطو ذلك العقل الهائل الذى يهـابه من يحس قدرته فـلا يجترىء عليه بالنقد ، قبل أن يفرغ جهـده فى التماس المعذرة له من جهل عصره وقصور الأفكار حوله لا من جهله هو أو قصور تفكيره ، فقد عاش فى زمان لم تتكشف فيه المعرفة عن خصـائص هذه الكائنات الأرضية السفلى التى نحسها ونعيش بينها ·

وبعد أن يستعرض العقاد تنزيه الفكرة الالهيـة عند الأقدمين ، هذا التنزيه الخاص المقصور على الفئة القليلة من المفكرين ، والذى لم يسلم فى كل آونة من ضعف يعيبه عقلا ، يقرر أن هذا التنزيه لا يبلغ بالتنزيه الالهى مبلغــه الذى جاءت به الديانة الاسلامية صالحا للايمان به فى العقيدة الدينية ، وصالحا للاخذ به فى مذاهب التفكير ·

ويتعرض العقاد لبعض كتابات الغربيين الذين لا يتورعون من حسبان الاسلام نسخة مشـوهة او محرفة من المسيحية أو الموسوية ، فيذكر ان المسالة مسالة نصوص محفوظة وشعائر ملحوظة ، لا تحتمل الجدل الطويل فى ميزان النقد والمقارنة ، فصورة الاله فى مراجع العبريين هى صورة « يهوا » الـه شـعب اسرائيل ، وهى صـورة بعيدة عن الوحدانية يشـترك معها آلهه كثيرون تعبدها الأمم التى جاورت العبريين ، ثم تطورت هذه العقيدة بعد ظهور المسيحية فانتقلت من الايمان بالاله لأبنـاء ابراهيم فى الجسد الى الاله لأبناء ابراهيم بالروح · وظهر الاسلام وفحوى العقيدة الالهية كما تطورت بها الديانة المسـيحية أن الله الاله واحد من أقانيم ثلاثة : الأب والابن والروح القدس ، وأن المسيح هو الابن من هذه الاقانيم ، ومن البديهى أن الباحث الذى يريد تطبيق علم المقارنة على المسيحية والاسلام مطالب بالرجوع الى حالة الديانة المسـيحية حيث ظهرت دعوة الاسلام فى الجزيرة العربية ، فلا يجوز لأحد من هؤلاء الباحثين أن يزعم أن الاسلام نسخة محرفة من المسيحية ·

ويتعرض العقاد بعد ذلك للنبوة ، ويشير الى أن فكرتها نمت فى الاسـلام كما نمت فيها الفكرة الالهية ، فبرأت هذه الرسالة السماوية من شوائبها الغليظة التى لصقت بها فى عقائد الأقدمين من اتباع الديانات الوثنية والديانات الكتابية ، وخلصت من بقايا السحر والكهانة كما خلصت من شـعوذة الايهام الخيالى وبدوات الجنون الذى كانوا يسمونه قديما بالجنون المقدس ، وتمت نبوة الاسلام نماءها الأوفى حين خلصت من دعوى الخوارق والمغيبات ، وهى آية النبوة الكبرى فى عرف الأقدمين ·

***

وفى مجال المعاملات ، يناقش العقاد أولئك الذين

« البقية على صفحة ٤٩ »



من ٢٣ مارس الى ٢٩ مارس ١٩٦٥ بمحافظة دمياط بمبنى مجلس المدينة

من روائع الشعر الأسباني

حكاية قرم أسود

للشاعر: نيكولاس جيين

ترجمة: د. الطاهر أحمد مكى

حتى تحين الفرصة لتقديم أعلام الشعر الاسبانى فى دراسة واعية، والتعريف بادب مجهول لنا تماما على نحو علمى، قد يكون من المفيد القاء بعض الضوء على هؤلاء الشعراء الذين نترجم بعض ثمارهم الى القارىء العربى، ولو فى سطور قليلة، يستطيع على هداها المحدودان يعرف لمن يقرا:

* نيكولاس جيين، كوبى من دم افريقى، ولد فى مقاطعة كما جوبى عام ١٩٠٢.

* فى سن مبكرة ساءه الانحدار المادي والخلقى الذى تتردى فيه كوبا بعامة، والاضطهاد الذى يعانيه سكانها السود بخاصة، فاسهم فى تكوين جماعة «صحيفة التقدم» وجعل منها منبره فى مهاجمة الاستعمار بوصفه مصدر كل هذه الشرور.

* قاتل خلال الحرب الاهلية الاسبانية (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) ضد الفاشية الاسبانية، الى جانب الجمهوريين كبقية رجال الفكر المتحرر فى العالم اذ ذاك، وكان من رفاقه فى السلاح مالرو، وبابلو نيرودا، وغيرهما، وعنها أصدر ديوانه «اسبانيا» عام ١٩٣٧.

* يعتبر أبو الشعراء فى كوبا الآن، وهو قمة الشعر الاسود المناضل ذى المضمون الاجتماعى فى القارة الامريكية، باللغة الاسبانية، ولو أن ذلك لايعنى انه قصر شعره كله، او حياته كلها، على الجانب السياسى وحده، فان له قصائد جميلة يتغنى فيها بالطبيعة، أشعارا بلهجة ذات نغم راقص، يجرى مع الموسيقى الأفرو امريكية.

* أسس «جمعية الدراسات الافريقية الكوبية» لتعنى بالفولكلور الافريقى فى منطقة بحر الكاريبى، والحق ان أروع قصائد نيكولاس هى تلك التى اهتم فيها بحكايات البسطاء من الناس فى وطنه، ومايجرى فى حياتهم اليومية، وبالاساطير الافريقية التى عبرت المحيط مع أجداده، عندما ساقهم الرجل الابيض الى هناك، صيدا قنصه فى الغابة، او رقيقا اشتراه من السوق بابخس الاثمان.

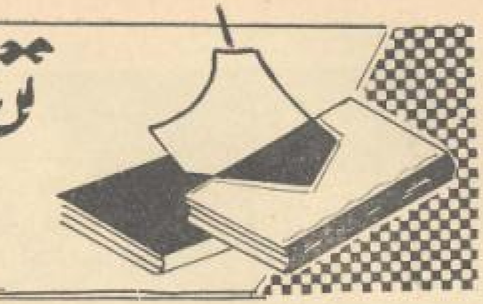
* صدرت له ثمانية دواوين، ويراس الآن اتحاد الكتاب فى كوبا.

شبح ، لتبعد ايها الشبح !
قزم ، لتذهب ايها القزم !
مياه النهر العكرة
عميقة وبها موتى ،
واصداف سلاحف ،
ورءوس اطفال سود ،
فى الليل يمد النهر ساعديه
ويمزق الهدوء
باظافره
اظافر تمساح مجنون ،
وبين صياح النجوم ،
وتحت قمر مشتعل ،
يعوى النهر بين الصخور ،
وباصابع خفية ،
يهدم عقد الجسر
ويخنق المارة ،
شبح ، لتبعد ايها الشبح !
قزم ، لتذهب ايها القزم !
اقزام لهم سرر ضخمة
يسكنون المياه الهادرة ،
سيقانهم القصيرة مفتولة ،
وآذانهم الطويلة منصوبة ،
آه ، سوف يأكلون ولدى ،
ذا اللحم الأسود النقى ،
ويشربون دمه ،
ويمتصون عروقه ،
ويغمضون عينيه ،



عينيه الواسعتين اللؤلؤيتين !
اهرب ، سوف يقتلك الغول ،
اهرب ، قبل ان ياتى الغول !
يا صغيرى الحبيب ، يا محبوبى الصغير ،
لتغرسك قلادتك ...
شبح ، لتبعد ايها الشبح !
قزم ، لتذهب ايها القزم !
لكن « شانجو » لا يريد ان يذهب ،
ومن الماء خرجت يد
لتمسك به ... كان قزما اسود صغيرا ،
شق جمجمته ،
واطفأ عينيه الواسعتين ،
واقتلع اسنانه البيضاء ،
وصنع من سيقانه عشا
وعشا آخر من سواعده ،
يا صغيرى الحبيب ، يا محبوبى الصغير ،
مع بسمة على شفاهك الغليظة ،
مع عمق نهرك
حزنى يحلم
ومع عروقك الجافة
وقلبك المبلول ....
شبح ، لتبعد ايها الشبح !
قزم ، لتذهب ايها القزم !
آه ، يا صغيرى الحبيب ، يا محبوبى الصغير
لقد حدث ما قلت لك !

« د . الطاهر احمد مكى »



تعقيبات

بقلم : عباس خضر

الغـزو الفـكرى

فى مؤتمر الأدباء العرب

كان هناك بحثان فى موضوع « الغزو الفكرى » : الاول منهما « الادب والغزو الفكرى » للاستاذة **نازك الملائكة** (العراق) والثانى للاستاذ عبد الله عبد الجبار (من السعودية ومقيم بالقاهرة) . والبحثان يتكاملان كسائر ما ألقى وقدم فى المؤتمر من البحوث فى موضوعاته .

نحا الاستاذ عبد الجبار أولا منحى تاريخيا ، من حيث **محاولات الاستعمار تخريب الثقافة العربية فى** بلاد الوطن العربى وخاصة فى الجزائر ، **وبين كيف** استطاعت الاصالة العربية مقاومة تلك المحاولات . وثانيا القى نظرة عامة على مظاهر الغزو القائمة من آثار الاستعمار ، وفرق بين الغزو المخرب وبين التأثر الثقافى ودعا الى ضرورة « **الاحساس بالفصحى** » وتذوق أسرار بلاغتها ، واحلال التفكير العلمى محل التفكير الوهمى الخرافى فى دنياالعروبة، ذاهبا الى أن هذا التفكير استعمار من الداخل تجب مقاومته وتطهير الرقعة العربية منه .

اما بحث الاستاذة نازك الملائكة فقد كان اكثر الموضوعات اثارة للنقاش فى المؤتمر . وأحب ـ قبل المضى فى الحديث عنه ـ أن أشير الى حقيقة حاول أن يلبسها بالباطل بعض الزملاء الذين أرادوا أن يأخذوا موقفا «**تقدميا**» مستغلين المغالاة والتطرف فى الاشادة بكل ما هو عربى ومقابلته بالملعون من ثقافة الغرب الغازية ..

لقد راح أولئك الزملاء يضربون على نغمة التقوقع والعزلة ، وضرورة المشاركة فى الثقافة العالمية وفتح النوافذ لاستقبال الجديد الوافد ... الخ .

والواقع أن أحدا لم يدع الى عزلة أو تقوقع أو اى شىء من هذا القبيل ، فالجميع متفقون على وجوب الاتصال بالثقافات الاجنبية والاستفادة منها بما يثرى حياتنا الفكرية ويجدد فيها ألوان الادب والفن .

وكان الدكتور ناصر الاسدى موفقا كل التوفيق فى تعبيره عن الموقف فى ذلك ، اذ قال : **يجب أن نفتح نوافذنا بانفسنا وبارادتنا لا بارادة غيرنا ، ونستنشق الهواء برئتنا لا برئات الآخرين** .

ولا بد أن نسأل فى هذا الصدد : هل هذا موقف تأخرى وذاك موقف تقدمى ؟ .

وقبل ذلك : ما التأخر وما التقدم ؟ .

هل التأخر هو مجرد النظر فى الماضى ، والتقدم مجرد الجرى مع كل جديد ؟ .

ان المفهوم الذى ينبغى ابرازه هو أن التأخر هو كل اتجاه يؤخر الجماعة القومية أو الانسانية ويعوق تقدمها وارتقاءها ولو كان جديدا .

والتقدم على العكس ، هو الارتقاء ولو كان عن طريق الانطلاق من الماضى والتمسك بالصالح من قيمه ومثالياته .

وعلى أساس هذا المفهوم يجب أن يقيم ما قيل بمؤتمر الادباء العرب فى موضوع الغزو الفكرى والتراث العربى .

وثمة ملحظ أساسى فى الموضوع ، **هو أن هذا الصراع نفسه جديد فى حياتنا الفكرية** .. انه ليس من قبيل ما كان من الازدواج الفكرى المأثور

من ماضينا القريب ، الذى نشأ ونما من ازدواجية التعليم والثقافة المعروفة ، وكان يقوم بين طرفين أحدهما جامد عاكف على القديم يأبى أن يتزحزح عنـــه ويرفض كل جديد ، بل يرفض مجرد النظر فيه ، والآخر يثور على الاول وينعى عليه جموده ، ويصحب ثورته تطرف ، ويصـــنع صنيع الجامد فيرفض هو أيضا كل قديم •

والذى نلحظه الآن شىء آخر مختلف عن تلك الازدواجية المعوقة المتأخرة فى طرفيها ••

هو ان الذين يدقون الاجراس للتنبيه الى خطر الغزو الفكرى والمنادين بالانطلاق من نقطة التراث والقيم الاصيلة ، او هم بالتحديد الذين فعلوا ذلك فى مؤتمر الادباء العرب ، انما هم من ذوى الثقافة الحديثة ، وهجومهم ودعوتهم انما يقومان على الدراسة والتمييز بين ما يلائمنا من جديد الغرب وما يضر بنا ويخرب حياتنا منه •

ولنعد بعد الى بحث الاستاذة نازك الملائكة لنرى ماذا قالت ، وننظر فيه •

بعد مقدمة عن الفرق بين الغزو العســـكرى والغزو الفكرى من حيث ان الاول محسوس تسـهل حربه والثانى معنوى تصعب مقاومته عرضت للظاهرة العامة لهذا الغزو فيما يلاحظ **من أن تفكيرنا بات منحصرا فى آداب الغرب فلا نتحدث الا عنهم وكان ليس لنا أدب على الاطلاق ، يضاف الى ذلك أن الكتاب المغرقين فى ذلك لا يتخذون موقفا عربيا لما يكتبون عنه من أدب الغرب ، وانما يصدرون فى تعليقاتهم عن عين الموقف الذى يصدر عنه الكاتب الغربى •** ثم قالت انها تأملت مظاهر الغزو فى أدبنا الحديث طويلا فوجدتها تكمن فى أربع جهات :

١ ــ موقفنـــا من الاخلاق : اذ أننا فقدنا اللمسة الاخلاقية فيما نكتب ، فمن سمات الفـــكر العربى الحق أنه فكر أخلاقى يدعو الى ارتقاء العقل الانسانى الى مراتب الخير والكمال • ولم تفقد كلمة « أدب » مدلولها الاخلاقى الا فى عصرنا ، اذ صرنا نصدر اليوم فيما نكتب عن المفهوم الغربى للكلمة ، الذى يرجع أصله الى ما قال به « أرسطو » من أن جمال الادب لا يستند الى الاخلاقية • وظل أدباء الغرب يفصلون بين الادب والاخلاق فى مختلف العصور ، حتى بالغ فى هذا الفصل انصار المذهب الطبيعى فى القرن التاسع عشر • واقتبس أدباؤنا العرب هذه النظرة الى الادب فى اتجاهيها السلوكى والجنسى ، حتى صرنا نرى الانسان العربى ــ فى كثير من الانتاج الادبى ــ وكأنه قد تحول الى حيوان أعجم لا يرتفع الى أعلى الجسد والحواس •

وقالت ان هذا الادب المتحلل ، الذى يهدم الاخلاق والمجتمع ، يتعارض مع الدعوة القومية التى يعيش لها المجتمع العربى اليوم ، فالقومية بناء وحياة ، بينما ذلك الادب هدم وانتحار •

٢ ــ موقفنا من الدين : فقد أخذنا عن أدباء الغرب موقفهم من الدين ، والتقطنا نظرتهم المادية الى الحياة وموقفهـم يختلف عن موقفنـــا من حيث أن الدين الاسلامى يرتبط كل الارتباط بالفكر ، اما فى أوربا فان الدين يتصف بشىء من الانعزال عن الحياة فلا يرتبط بالادب والفكر الا من بعيد •

٣ ــ موقفنا من اللغة العربية : اذ حرصت بعض المؤسسات المشبوهة والجماعات المغرضة على أن تعهد بترجمة امهات الكتب الغربية الى كتاب ضعاف غير متمكنين من العربية ، فصاغوا تلك الكتب العظيمة صياغة حرفية ركيكة • **ونجحت هذه الترجمات فى تحويل الركاكة الى مذهب فى التعبير ،** وحرمتنا هذه الترجمة الركيكة فرصة تكسب فيها لغتنا تعبيرات عربية جديدة لها الفصاحة والجدة معا •

ومن مظاهر تلك الركاكة اسـتعمال قواعد النحو اللاتينى مع أنهـا تعد فى مقاييسنا النحوية غلطا ، مثل تعدد المضافات الى مضاف اليه واحد ، ومثـل تتابع الاضافات ، ومنهـــا استعمال أساليب بنـاء العبارة اللاتينية التى تخالف أساليبنا مخالفة مرجعها الى الفروق بين طبيعة اللغات ، مثل تأخير الفعل فى الجملة فلا يرد الا بعد أن يتقدم عليه سطران كاملان من الظـروف والمجرورات والمعطوفات ، كقـولهم « **بعناية شديدة واهتمام ، ومن دون ان يتحدثوا فى الموضوع مباشرة ، او يثيروه ، على نطاق عام ، وبعد ان فرغوا من دراسة التقرير ، اشتغلوا فى توزيع الملابس على سكان الحى** » •

وقالت الأستاذة نازك الملائكة ان العربيــــة قد

ابتليت فى هذا القرن بكثير من الدعوات المشبوهة التى نادى بها مغرضون يضمرون الشر للعروبة ولغتها ، فرددها من العرب طائفتان: طائفة الشعوبيين الذين يقصدون اضعاف العربية ، وطائفة البسطاء الذين تخدعهم الفاظ الحرية والتجديد فيسيئون دون قصد .

٤ ـ موقفنا من المعنوية العربية : اذ يحرص الغزاة وأعوانهم من الشعوبيين على قتل المعنوية العربية واحلال المعنوية الغربية محلها، ويكادون اليوم ينجحون فى ذلك ، **فقد طلع فى السنوات الأخيرة أدب عربى جديد تنعكس فيه سمات النفسية الاوربية ومظاهر الأدب الغربى** . ومن وسائل الغزاة فى ذلك الايحاء الى اليافعين أن هناك أدبا عالميا يتخطى الحدود ويعبر عن نفسية الشعوب أجمعين ، بمعزل عن ظروفها وشخصيتها ، وان هذا الادب لا يناقش وانما يقبل فى كل مكان ، فمن لم يقبله كان جامدا أو رجعيا أو جاهلا . وهم يضعون على عرش العالمية مجموعة من الأسماء الغربية فى الغالب ويسالون الشبان أن يعجبوا بكل حرف يقوله أصحابها ، وأبرز هذه الأسماء تأثيرا فى حياتنا **«جان بول سارتر» الأديب** والفيلسوف الفرنسى اليهودى . وسارتر من الناحية الادبية ذو فكر مبدع يسمو الى الذرى العالية ، وانما يقع الانحراف المغرض فى فرض آرائه على القارىء الصاعد ، **وهى آراء لا تتفق مع مطاليب حياتنا الاجتماعية والفكرية ، بل هى تناقض روحيتنا وحضارتنا** ، مثل « فلسفة الغثيان » التى تقول بأن المجتمع بغيض ، وان وجود الناس حولنا هو الجحيم وان الاخلاق والمثل والتقاليد سخافات يتلهى بها السطحيون ، وان الحياة خواء فارغ لايستحق الاهتمام فيها الا الجسد والجنس .

وقد أثارت محاضرة نازك الملائكة مناقشة حادة ، وتصدى لمعارضتها بشدة الدكتور سهيل ادريس ، ودافع عن سارتر ونفى أنه يهودى ، وأشاد بموقفه فى نصرة الجزائر .

وعلى الرغم من اختلافنا مع الأستاذة نازك ، اذ نراها تبالغ فى موقف أدبنا وموقف أدب الغرب من الاخلاق والدين ، نرى أن الأمر ليس بالمثابة التى صورتها ، فعندنا ما عندهم من الانحراف فى الادب عن الاخلاق والدين ، وعندهم ما عندنا من الاستقامة فيهما ، وتوافق سهيل ادريس فى أنها حملت بشدة أكثر من اللازم على أدبنا الحديث ، فان الادب المتحلل والفاقد للشخصية القومية لا يمثل الا جانبا منه ، وقد سألها « سهيل » عن رأيها فى نتاج **الرافعى والزيات واحمد امين ونجيب محفوظ والعقاد وميخائيل نعيمة والحكيم وشوقى وحافظ ومطران والشبيبى** وو .. الا يستحق واحد من هؤلاء وأمثالهم كلمة عطف واحدة ؟ أصحيح أن بعض الانتاج السطحى المتحلل اليوم يحجب جميع تلك الآثار القيمة ؟ .

على الرغم من ذلك نرى نازك الملائكة موفقة كل التوفيق فى الموقف من اللغة العربية والمعنوية العربية .

كانت « نازك » رائعة وعميقة كل العمق فى نظرتها النافذة البصيرة الى ما فى أدبنا اليوم من اندفاع وانقياد أعمى للتيارات الاجنبية المؤذية للمعنوية العربية ، سواء ما كان من تلك التيارات مغرضا بقصد التخريب ، أو ما كان منها موافقا لبيئته وغير ملائم لبيئتنا . ومن ذلك قولها بأن ترديد آراء الغربيين وأخذها مسلمة **أدى الى انشار روح التشاؤم فى أدبنا والاحساس بأن الحياة عبث ، وأن ذلك لا يتفق مع الحياة العربية التى تمر الآن بفترة خصيبة رائعة ،** فنحن اليوم نعيش فترة انتصارات باهرة تحققها القومية العربية ، وتكاد أعيننا تكتحل بفجر الوحدة ، ونحن الآن نختلف عن الغرب فى الظروف التاريخية التى نمر بها **والمعروف عند علماء النفس أن المشغولين لا يجدون وقتا للقلق واليأس والاحساس بالفراغ ، ونحن الآن لا نجد هذا الوقت ، وفى مقابلنا ، يجد الغربى نفسه فارغا لديه كثير من الوقت وقليل من الاهداف .**

وما أصدق ماقالته من أن الغربى يرى غذاءه يصل اليه عن طريق استعمار الأمم وسرقة قوتها ، **ومن ثم فهو يحس قلقا غامضا لا يعرفه العربى الذى يأكل القليل الحلال ويحمد الله وينهض الى عمله .** وهذه الفروق بيننا وبين الغرب تجعل نقلنا لموقف اليأس والعدمية والفراغ أمرا لا معنى له سوى تخلينا عن كرامتنا ومصلحتنا وشخصيتنا ، **فكأننا نبكى فى** يوم عيدنا .

« عباس خضر »

حول الأدب



بقلم عبده بدوي

سلام على العقاد

لا أعرف كاتبا معاصرا ظلم فى الفترة الأخيرة كما ظلم العقاد، فقد كان عرضة للذين يتعجلون الظهور، والذين خلفهموراءه من جيله، والذين كانوا يكرهون منه دفاعه عن الاسلام ، والذين يحبون الانطلاق من القيم والأنظمة .. فكتبه التى كانت تتوالى لم يكن يكتب عنهـا ، بل كان يعرقل ظهورها فى بعض الأحيان ، فاذا أضفنا الى هذا الصحافة وجدنا أنها كانت تقدمه فى الفترة الأخيرة فى صورة من يعرقل التطور ، وكأنه لم يفتح للتطور طريقا فى رأس ملك وعدد من الزعماء ، وكأنه لم يعتصر شجرة الفكر فى العالم ثم يقدمها فى العربية ، وكأنه لم يجعل من حامل القلم سلطة بعد أن كان قد انحدر الى «**أدباتى**» وسمير يفاكه الخلان ، ويضحك المسئولين ، ويقنع دائما بأن يكون فى آخر الصف .

واعترف انى ترددت على بيته مرتين أو ثلاث ، وأنى اصطدمت بأشياء كثيرة منهـا كبرياؤه ، فقد راعنى فى أول الأمر أن من يجلسون اليه يبدون فى صورة المستسلمين الوادعين الذين لايحدثونه الا فيما يوافق ما يأخذ به من الآراء ، فاذا جاء غريب وتحرر فى المناقشة ضاق صدرهم بقدر ما يتسع صدره ، ثم انى كنت حدثته مرة فى أن يكتب مقدمة لديوانى « **باقة نور** » فوافق وطلب احضار المخطوط ، فلمـا أحضرته رأى أن يطلع على الملازم بعد أن يدفع به الى المطبعة ، فلما ذكرته بوعده فى كتابة المقدمة ، ذكر أنه مشغول بأحد كتبه . ولا أدرى لماذا قلت له انى أعتقد أن الوعد يجب الوفاء به فقد رد بأن الوعد يتجدد بتجدد ظروفه ، وظهر الضيق فى صـوته ، مما جعل الشاعر العوضى الوكيل يضغط على يدى ، وجعل عددا من الزملاء يضيق بالمناقشة .. وأذكر انى لم أكره العقاد كما كرهته فى هذا اليوم ، وانى كنت أسخر من الزملاء المقربين الذين كانوا يترددون عليه ، ثم كان التقائى المتكرر به فى لجان وزارة الثقافة والارشاد القومى، وأنى تعمدت عدم التسليم عليه أكثر من مرة ، وفى احدى اللجـان التى كانت تضم وجوه الفنانين التشكيليين والتعبيريين ، رأيت ما بهرنى من الرجل ، فقد كان حريصـا على ألا يكون أول المتكلمين ، وعلى الايقاطع أى متحدث، فلما أثيرت مسألة رياسة اللجنة وتوقعنا ثورته ، وجدناه يبتسم ثم يطلق ضحكة عالية يقول فيها « **على كل الدكتور**

طه حسين اكبر منى بشهرين ! » ومرت العاصفة ، وفى هذه الجلسات رأيت أحد المشتغلين بالموسيقى يذكر نظرية ثم يقول فى زهو انها فى كتاب صدر من عدة سنوات ، واذا بالعقاد يذكر له ما طرأ على هذه النظرية من تعديل ، ثم يتكلم فى جزئيات عجز الكثيرون عن متابعتها ، واذكر أن هذا حدث بالنسبة للفنون التشكيلية بعد أن تكلم أحد الممثلين لها .. وبعد هاتين « الصدمتين » كنت أحس أن المناقشين كانوا يمثلون أوركسترا باهر الأداء ، ثم ان هـذا الاوركسترا سرعان ما يهدأ ويكون فى خدمة صوتى العقاد وطه حسين ، ثم بعد فترة يصبح العقاد هو « العازف المنفرد » .

وفى هـذه الجلسات عرفت العقاد لا يغمط حق أعدائه ، ولم ينس أن يقول مرة ان فلانا هـذا قد عاش يلاحقه بالهجوم ، ومع ذلك فهو يرى أنه جدير بمنحة التفرغ ، وكان أن « استخلصه » من الايدى التى كانت تعتصره، وفيها أيضا رأيته يحول الاجتماع الى « **حلقة بحث** » ويضيق الحصار على « الظرفاء » ، ويجعل الكثيرون يخرجون رءوسهم مائلة من كثرة ما أدارها !. ثم كانت ثقتـه بى فى قراءة انتاج المتقدمين واعطاء تقرير عنهم .

وقد أحس بهذا بعض المسئولين فكانوا يجعلونى الحلقة التى تربط بينه وبينهم ، وقد وفقت فى أشياء وفشلت فى أشياء .. وفقت حين جعلته يفتتح بعض سلاسل الوزارة ، وحين جعلته يكتب سلسلة من المقالات فى مجلة المجلة ، وبعض المقالات لمجلة نهضة أفريقيا ، وأذكر أنه أرسل الى مقالا مرة عن موسيقى الشعر العربى لنشره فى نهضة افريقيا واسقط فى يدى لأن الموضوع كان بعيدا عن خط المجلة ، وكان أن دفعت به الى الاستاذ محمد صفوت لترجمته الى الانجليزية ثم نشرته فى القسم الانجليزى واذكر أنه أبدى سروره من ترجمة هذا المقال ، كما أذكر انى حين كلمتـه عن مكافأة مقالاته اشترط أن يدفع المبلغ عقب تسليم المقال، واضاف أنه لن يضيره أن يأخذ عن المقال ستة جنيهات اذا كان لا يوجد من يتعدى هذا المبلغ بمليم واحد .

وأرجو ألا يتبادر الى الأذهان أن العقاد كان حريصا على الكتابة للمجلات ، ذلك لأنه راوغنى أكثر من مرة ، ورغبة منى فى تحقيق رغبة الاستاذ يحيى حقى ، رأيتنى أقول له بعد أن لمحت عدم رغبته فى الكتابة « **على كل أنا أرى أنك تحقق ما يتهامس به من أنك حبست فى مجلتى الأزهر ومنبر الاسلام** » ودون أن يهتز صوته أخذ يتحدث فى أشياء كثيرة، ثم حين هممت بالانصراف والضيق يملأ نفسى قال لى : سأرسل اليك المقالة الأولى ، ثم أضاف أن أمر هؤلاء المتهامسين لا يعنيه ، وانه حين يرد لا يرد عليهم وانما يمسك ماركس من ذقنه ثم يهزها هزا يزعجهم !

ومن الأشياء التى فشلت فيها محاولتى اعادته الى حضور اللجنة الفرعية للأدب ، واللجنة العليا للتفرغ ، بعد أن رأى الوزارة لا تميل الى موافقة اللجنة موافقة تامة على ما أخذت به .

ومن الأشياء التى كدت انجح فيها معه اقناعه هو بأخذ منحة تفرغ فى موضوع الجمال والحرية الذى كان يحب أن يقدمه فى كتاب ، ومع أنى ذهبت مع مسئولين كبيرين الى منزله بعد أن وثقت من موافقته مبدئيا على الفكرة ، ومع أنه كان سيستثنى من عدم الكتابة فى الصحف والمجلات ، ومع أن المبلغ الذى كان سيستفيد من ورائه فى مقابل كتاب واحد كان سيصل الى ثلاثة آلاف جنيه ، ومع أنه كان يقال انه كان يعانى من ازمة مالية فى هذه الفترة .. مع كل هذا ، فانه ذكر أنه لن يكون أول من يطبق عليه قانون التفرغ من الرواد ، وبخاصة أنه يعمل فى لجانه ، ثم ذكر عدة أسماء كان فى مقدمتها اسم الدكتور طه حسين .

هذه بعض المواقف التى احتككت فيها بالرجل ، وجعلتنى أنتقل من صف « المشوشين » عليه الى الصف الذى يقف به مع الحقيقة ، وقد كنا نتبادل أحيانا المراسلة بالشعر ، فقد كتبت اليه مرة فى العيد أقول :

اذا كان هـذا العيد فخرا لأمة
فانك عيد مشرق الوجه للفكر
وان قيل فاخر عالم الفكر كله
تلفت للعقاد ، وازددت فى الكبر!

وقد رد على قائلا :

الى البدوى اليعربى تحيتى
وتهنئتى بالعيد يحدوهما شكرى
وياحبذا منه الثناء يزيده
على كرم فى طبعه .. كرم الشعر

وكتبت اليه في عيد آخر :

الى قلبك الريان بالحب والسنا
ومن عاش عصرى تحت مصباحه السحرى
تمنيت لو أهديت عمرى جميعه
مقابل ما عمقت ما عشت من عمر

ورد رحمه الله بهذين البيتين ومشيرا الى مجلة « نهضة افريقية » التى كنت أشرف عليها :

أيا منهضا « افريقيا » ومحررا
قصائده : لكن بلا مذهب « حر »
هنيئا لك الأعياد نحرا لشانئ،
وفطرا على صوم ، وروضا من الشعر !

رحم الله العقاد الذى يعيش بيننا الآن ، واجزل ثوابنا فى الذين يموتون وهم على قيد الحياة ، والذين يتحركون بالحقد لهذه الأمة ، وبالكره لعباس محمود العقاد باعتباره فيلسوفها وأديبها ، واحد الباقين بها أبدا .

مع كتاب فى صحبة العقاد

هل كان يمكن للعقاد الذى قام جزء كبير من شخصيته على كتابة التراجم الا يكتب عن نفسه ؟ وبأية طريقة كان يكتب ؟ وللاجابة على هذا لا بد أن ندرك أن العقاد لم يكن ضد الرجوع الى الماضى ، وانه لم يكن يستطيع أن يقف بصرامة « ليحاكم » ماضيه كما فعل سارتر فى كتابه « الكلمات » ، ولم يكن يستطيع أن يقدم نفسه فى صورة الانسان الخارج من اطاره كما فى مذكرات شارلى شابلن مثلا ، ولم يكن يستطيع أن يقدم نفسه فى صورة « المتهم » أو صورة « الشخصية المعترفة » ، كما فى العديد من الكتب ... وفى الوقت نفسه لم يكن يستطيع الا يقدم نفسه ، وهو الذى تنبه من وقت بعيد الى أن الشاعر لا يعتبر شاعرا الا اذا عرفنا بنفسه أولا ، بحيث اذا استطعنا الوصول الى جوهره النفسى وخصائصه الاسلوبية قلنا اننا أمام شاعر .

فنحن نستطيع أن نتعرف على العقاد من خلال كل ما كتب بصفة عامة ، وبصفة خاصة من خلال كتاب «شخصيات عرفتها» الذى صدر من فترة ، ذلك لأنه يقدم هذه الشخصيات من خلال نفسه ، ومن خلال كتاب « أنا » الذى صدر بعد وفاته ، والذى يحدد الأستاذ **طاهر الطناحى** منهجه بقوله ان كتابته فى هذا الكتاب « هى كتابة باحث عالم ، وفنان نابغ تعود النظر فى مسائل العلم ، وقضايا الفن والفكر ، وجال فى شئون الفلسفة وعلم النفس والادب والتربية والاجتماع ، وتمرس بتجارب الحياة ومارس حلوها ومرها ، خرج منها بخبرة العالم وعبرة المفكر وحكمة الفيلسوف » .

فالعقاد هنا يتحرك بتاريخه كله وهو يكتب عن نفسه ، وهو من خلال هذا التحرك لا يقدم الا الجوانب العامة الواضحة فى شخصيته ، حتى أنه حين يتعرض أكثر لحياته تحس أنه يدافع القارئ عن خصوصياته، وان يكون قريب الصلة منه كانسان لا يفكر ، فهو هنا يذكر القارئ بحاجز يسمى الفكر الصارم الدقيق .. ولعل هذا هو الذى جعله لا يقدم لنا لحظات كتلك اللحظات التى قدمها طه حسين فى كتابه الأيام ، أو التى قدمها أحمد أمين وسلامه موسى حين كتبا عن نفسيهما .

وفى ضوء هذا نستطيع أن نقول ان كتاب « فى صحبة العقاد » ، قد أعطانا بعض الألوان الباقية فى لوحة العقاد ، بل نستطيع أن نقول ان هذا الكتاب فى أكثره لا يعدو أن يكون تاريخا « للعلاقة » التى كانت بين العقاد والمؤلف **طاهر الجبلاوى** .. ومما لا شك فيه أن تاريخ هذه « العلاقة » ، قد خفف من العبوس الذى كان يكسو وجه العقاد ، فنحن لن نرى فى هذا الكتاب العقاد المفكر السياسى الفيلسوف المقاتل فى بعض الأحيان .. وانما سنرى « الوجه الآخر » للعقاد ، سنرى التلاميذ يطلقون عليه اسم الكاهن « حرحور » .

ونراه يخرج بملابس النوم فى مصر الجديدة حين يقبل الليل ، ويجلس مع صاحبه على مقاعد البوابين (بل انه كان يجلس مع صاحبه على الرصيف) ولكن الاستاذ الجبلاوى لا يذكر هذا .

ونراه لا يجلس على مكتبه الا نادرا ، ويكتب مقالاته وهو مستلق على ظهره بحجرة نومه ، وحين يقال له أن مقالاته تحدث ضجيجا فى الحياة يقول « ألا يعلمون أنى أكتبها وأنا نائم » .

وحين يقرأ كتابا لا ينسى أن يضع على جوانبه ما يعن له من تعليق .

وهو لا يكتب على ورق « مسطر » لانه يرى أن السطور الخفية على الورق تحد من تدفقه ·

وقد يضع فكرة صورة ليرسمها فنان تشكيلي ·

وهو يحاسب نفسه حسابا عسيرا فى الطعام ·

وهو محب للفكاهة الى أبعد حد ، فقد كان يطلب من الاستاذ طاهر أن يطلب صديقا فى التليفون ليلا ثم يسأله :

ـ هل قرات صهاريج اللؤلؤ ·
ويجيب الصديق :

ـ نعم ، وماذا تريد منها
ويكون الجواب :

ـ اقرأها مرة ثانية ·

وقد ينظم زجلا يهجو به أحد معارفه ثم يتركه فى صندوق بريده ، وقد يضع له فى خطاب كسرة من الخبز ·

وهو يحتفظ بخادم يسمى الشيخ أحمد لانه يقوم بمفارقات تضحك وتبكى فى آن واحد ·

والاستاذ طاهر يقول : « والفكاهة فى كتابات العقاد السياسية أشد فى قهر خصومه من قوارص الكلم ، وأبلغ فى اثبات الراى من كل حجة ، وهو يتعمد الفكاهة حين تتحرج الامور وتتأزم ، ويدب اليأس الى النفوس ، ويعم الخوف والارهاب أنحاء البلاد ، فتعود الى النفوس طمأنينتها وتتجدد فيها روح الامل ، وتجابه العنف بالسخرية والاستهزاء ، فلما تولت الحكم وزارة «اليد الحديدية» أعلن رئيسها محمد محمود باشا أنه «سيحكم البلاد بيد من حديد» وأخذ حزبه وأنصاره يتشدقون بهذه الكلمة حتى رددتها الصحف الانجليزية ، ووجد العقاد مجالا للفكاهة والتهكم ، ونشر مقاله الساخر تحت عنوان « يد من حديد فى ذراع من جريد » ، وقد تداولته الالسن فى كل مكان ، وأسقط فى يد صاحب اليد الحديدية ، ولم يردد هذه الكلمة ·

وقس على ذلك تشبيهه رئيس احدى الوزارات المعادية فى جبروته وسطوته بشارلى شابلن ، ومقارنته الطريفة بين الشخصيتين فى وقت كان الارهاب فيه على أشده ، ومقاله بعنوان « علوية يكره الاوباش » و « حلمى عيسى على الربابة ·· الخ » ·

وهو يكثر من الفكاهة بالزجل ، فحين يؤلف المؤلف قصة عن الشاعر « ديك الجن » وحين يقوم العقاد بنشر الجزء الاول منها ، تغلق الجريدة التى كان يملكها توفيق دياب فى اليوم الثانى ، ومن هنا يقول :

ديكك يا سى طاهر
من منظر يظهر
ستــرك يا ساتر
حلمه بيتفسر
توفيق فى سجنه
من صيحة ديكك
ابعد بقى عنه
انت وتاليفك ! !

والعقاد يصل به الحد فى الحب الى أن يسير فى حديقة يتفقد فيها الوجوه ليتعرف مع صاحبه على سارة ، وحين يراهما ضابطان من الجيش يعرفانه ويتتلمذان عليه ، ويسألانه عن الشىء الذى يبحث عنه ، نراه يقول وهو يشير الى الاستاذ الجبلاوى ، « ان صديقى هذا رجل طيب القلب ولكنه منكوب فى زوجته ، وقد أخبره بعض الناس انها تغشى هذا المكان فجئنا نتحرى الامر » ·

وفى لحظات كان الاربعة رجال يواصلون رحلة البحث فى الوجوه ، وعن الزوجة التى لم يعرفها أبدا الاستاذ طاهر :

والعقاد قد يبكى كطفل ، فحين دخل فيلما وصلت قمة التأزم فيه الى أن يسحب الغطاء على وجه طفله الميت ، ثم يذهب ليغنى الاغنية التى كان قد نظمها ولحنها لهذا الطفل ·· حين يشاهد العقاد هذا الفيلم تراه لا يبكى مرة واحدة وانما مرتين ! بل انه يعود الى المنزل مهدما الى حد انه قد أصيب ـ من جراء هذا ـ باحتقان فى رأسه احتاج علاجه الى بضعة أيام ·

والعقاد قد يدير اسطوانة ، واذا بها تقول :

نار الغرام لم تنطفى
ولا المحبة بتختفى

فاذا به ـ وقد كان حديث الخروج من أزمة حب ـ يستغرق فى بكاء عميق ···

والمؤلف يتعدى هذا الجانب الحميم الى القاء بعض

الأضواء التي لابد منها لمعرفة العقاد ، فهو يذكر السبب في اقباله على الصحافة ، وفي نقل ندوته من جزيرة الشاي بحديقة الحيوان الى بيته ، وفي الذهاب الى السودان بعد أن أكدت الاذاعة النازية أنها أعدت لشنق العقاد حبلا أطول منه !

ومهما يكن من شيء فالمؤلف قد نقل الكاميرا قريبة من العقاد ، ولكنه يتهم بانه لم يذكر « الفتافيت الصغيرة » في حياة العقاد ، فالعظيم له حالات ضعف وانهيار ، والعظيم لا يسير في خط صاعد أبدا ٠٠ ولاشك أن الاستاذ طاهر يعرف شيئا من هذا ،ولكنه آثر أن يقرب القارىء من العقاد دون أن يطلعه على شيء قد لا يخدش حياء القارىء ، وانما قد يخدش حياء العقاد ٠

ولكنه بالرغم من هذا قربنا من العقاد ، وجعلنا نحبه كانسان بعد أن كنا نحبه كفكر ، لقد كان العقاد يسمى « محامي العباقرة » وما أجدر الاستاذ طاهر الجبلاوي بأن يسمى بهذا الكتاب « محامي العقاد » ٠

ولكن الذي لا شك فيه أن طاهر الجبلاوي بقدر ما انتفع فكريا بصحبة العقاد ، أصابه شيء من الجحود ذلك لأن الناس تعودوا أن ينظروا اليه بالمنظار الذي ينظرون به الى العقاد ، ولكنا لو أخذنا طاهر الجبلاوي بعيدا عن دوحة العقاد الضخمة التي تغطيه لبدا لنا أطول قامة مما هو عليه اليوم فالرجل له أسهام حقيقي في الشعر والترجمة وفي الكتابة بوجه عام ، ولكنه آثر أن يعيش في الظل الوارف للرجل الكبير ، وما أحسبه الا سعيدا بموقفه من العقاد ومن الحياة ، فاذا كان وفاؤه للعقاد يجعله راضيا بنصيبه ، فانا نطالب له بنصيبه من الحياة ، ونرشد الى ترجمته الرائعة لبستان الكرز لتشيكوف، ولكثير من روائع طاغور ، ولديوان جديد يظهر له بعنوان بقية الكأس ٠٠ ورحم الله العقاد فقد كان يقول عنه انه واحد من ثلاثة في العالم اتسموا بطابع «الطيبة والوداعة» وهم : غاندي ، ورومان رولان٠٠ وطاهر الجبلاوي ٠

« عبده بدوي »

« بقية المنشور على صفحة ٣٨ »

يعيبون على الاسلام أحكامه في المعاملات ، مع أنه ليس فيها ما يعوقه عن أداء رسالته العالمية الانسانية ، فما منع قط معاملة بين الناس تنفعهم وتخلو من الضرر بهم والغبن على فريق منهم ، وأساس التحريم كله في الاسلام أن يكون في العمل المحرم ضرر أو اجحاف أو حطة في العقل والخلق ٠ ويختص العقاد مسألتي الربا والحدود ببحثين وافيين ليؤكد أن الربا محرم في الشرائع الكتابية والفلسفات القديمة ، وأن الشريعة الاسلامية تدرأ الحدود بالشبهات ، ومع ذلك فلم يفرض الاسلام على جريمة من الجرائم عقابا أقسى مما فرضته الأديان الكتابية قبله ، وما شرعته الشرائع الموضوعة في أوانه ، ولا حجة لمن ينتقد العقوبات لأنه يقارن بينها وبين عقوبات العصر الحديث ، فان الحدود في الاسلام بينة لا تناقض مصلحة الجماعة في زمن من الأزمان ٠

وفي مجال الحقوق ، يؤكد العقاد أن الديمقراطية الانسانية ليست مما يتصور بغير عناصره الثلاثة التي لا انفصال بينها ، المساواة والمسئولية الفردية وقيام الحكم على الشورى وعلى دستور معلوم من الحدود والتبعات ، وهذه هي العناصر الثلاثة التي نادى بها الاسلام لأول مرة في تاريخ الانسان ٠

ويدافع العقاد عن الاسلام في شبهات دارت حوله في مسائل الرق ، والطبقية وحقوق الحرب وزواج النبي وحق الامام ، وبعد أن يعرض للنظريات الأخلاقية في المذاهب الفلسفية ، يؤكد أن الأخلاق التي يهتدي اليها المسلم كثيرة وافية بخير مايتحراه الانسان في مراتب الكمال المطلوبة لكمالها مع عموم نفعها في حياة الفرد والجماعة ٠

***

وبعد ـ فاذا كان منهج العقاد في هذا الكتاب يقوم على عرض الاسلام من معينه الصافي متضمنا دحض الشبهات وازهاق المفتريات ، فان منهجه في كتابه الآخر « ما يقال عن الاسلام » يقوم على الايجابية حيث يناقش الشبهات والمفتريات المعاصرة ويتعقبها في أعمق جذورها ، لتقويضها ، وهذا ما سأتناوله في المقال القادم ان شاء الله ٠

« محمد عبد الله السمان »



لماذا الندم وليس الذباب ؟

بقلم جلال العشرى

باريس سنة ١٩٤٣ يا لها من ذكريات !

عساكر الاحتلال النازى تجوب الشوارع والطرقات ، والناس فى بيوتهم لايتكلمون الا همسا، وكلمة قالها بائع الكتب على نهر السين أدت الى رميه بالرصاص ، فقد أطلقت حكومة فيشى ذبابها فى كل مكان وكست المدينة بسحابة من ندم وزعتها بالعدل على جميع المواطنين . أما سارتر .. جان بول سارتر ذلك الفيلسوف التائه فى ملكوت الفكر الذى خرج حديثا من الأسر معتل الصحة متهوك القوى فلا خوف منه على الاطلاق لذلك سمحوا له أن يكتب مسرحية وأن تعرض مسرحيته على الناس ، ولم يخطر على بال المحتل الغاصب مدى ما للفكر الدرامى من خطر ، لم يخطر على باله انه سيخسر المعركة بمجرد أنيسمح بعرض هذه المسرحية .

نعم فقد استطاع الفيلسوف أن يدير المعركة بحكمة ودهاء ، استطاع أن يجعل من مسرحيته لغما ينفجر فى جوف حكومة النازى ، ومنشورا ثوريا يوزع على جميع أهل باريس . وما أن يسدل الستار حتى تنطلق فى طول البلاد وعرضها نغمة جديدة تهيب بالانسان الفرنسى أن يخلع رداء الندم ويتخلص من الذباب ، أن يعتنق الحرية ويعمل على التحرر ، أن يردد فرحة البطل الوجودى أورست اذ يلتقى بأخته الكترا بعد غيبة خمسة عشر عاما لأنها فى الحقيقة فرحة الكاتب سارتر اذ يعود من الأسر ليرتمى على صدر معبودته باريس : « **لقد ولى الليل وهذا مطلع الفجر ، ونحن حران يا اليكترا . يلوح لى انى وهبتك الميلاد وانى لم اولد الا معك ، انى احبك وانت لى . بالأمس كنت وحيدا واليوم انت لى . لقد ضاعف الدم توثيق عرانا ، لاننا من دم واحد وقد ارقنا دما** » .

ولكن ما الذى يقوله سارتر فى مسرحيته هذه ؟

يقول ما خلاصته أن الحرية هى الشىء الذى لانملك معه الحرية فى أن نتخلى عنه ، لأن الحرية هى الشىء الذى كتب علينا أن نحياه . وانه اذا اصطدمت الحرية بالعائق تحولت الى قيمة بحيث لا يكفى الانسان ان يهتف باسم الحرية لكى يكون حرا بل لا بد له من أن يعمل على التحرر بالفعل .

ولكن الكاتب لم يقل كلماته هذه صراحة والا لما قالها أصلا وانما عمد الى الأسطورة الاغريقية القديمة يدس فيها أفكاره ويهرب عن طريقها أقواله ويتسرب منها الى أغوار الانسان الفرنسى ليلقنه ما يجب عليه أن يعمله من أجل مقاومة العدو .

وهكذا جاءت « **الذباب** » مسرحية فى ثلاثة فصول تدور حوادثها حول أورست وأخته الكترا والاله جوبيتر ، ويشرح لنا سارتر طبيعة الموقف الدرامى فى الفصل الأول ، فها هو أورست الذى تربى خارج موطنه ارجوس يعود اليه فجأة بصحبة مربيه ، يعود اليه شابا مكتمل الفتوة حرا من كل عبودية وكل اعتقاد .. لا أهل ولا وطن ولا دين ولا مهنة ، ولكنه يعود ليجد أهل ارجوس ملطخين بالندم متشحين بالعار يأخذون أنفسهم بكل قسوة وصرامة تكفيرا عن خطيئتهم فى قتل والده اجاممنون ، الملك الراحل الذى قتلته زوجته كليتمنستر بيد عشيقها ايجست الذى نصب نفسه ملكا على أهل أرجوس وراح يعمل على كسب محبة الشعب بتزعمه طقوس التكفير . فالفصل الأول اذن يعدنا لطقوس الاحتفال بالذكرى السنوية لجريمة القتل وفيه تتبين مجرى تيارين من الخصومة والعداء .. أحدهما بين الكترا والملكين وهو قديم ومرير ، والثانى بين جوبيتر وأورست وهو لا يزال بعد جنينا . والذى يؤكده سارتر فى هذا الفصل أن أورست لا يبدو بمظهر من يود الانتقام لأبيه ، بل يبدو بمظهر من لم يعد يعنى فى قليل أو كثير بشئون أرجوس ، فهو هادىء متزن يميل الى ترك شئون الموتى للموتى : « ولكن ماذا ؟ ما لهؤلاء القوم ومالى ؟ ولم أشهد ميلاد طفل من اطفالهم ، ولم

أشارك فى زفاف بناتهم ، ولست أشاطرهم ندمهم ، ولا أعرف اسما لواحد منهم . ان الحق ما قال ذو اللحية : على الملك أن يساهم مع رعاياه فى عين الذكريات ، فلنخل سبيلهم أيها الرجل الطيب ولننطلق الى سبيلنا على أطراف الأصابع » ..

والفصل الثانى يشتمل على منظرين رائعين ... الأول لطقوس التوبة والتكفير وفيه نرى ايجست يزمع أن يطلق أرواح الموتى من العالم السفلى ويسمح لهم أن يغشوا مساكنهم ومنتدياتهم مثل ما كانوا يفعلون فى حياتهم الاولى لليلة واحدة فقط يعودون بعدها الى عالم الموتى . واذا بالكترا تقبل فى حلة بيضاء متحدية ما أمر الملك باقامته من طقوس وشعائر ، وترقص أمام الناس حرة النفس طليقة الذراعين معلنة أنها لن تكف عن الرقص الا اذا رأت من الأرباب ما ينم عن عدم رضاهم عن رقصها ، وهنا يتقدم جوبيتر مقسما أن يعصف بغرورها فيرسل البرق والرعد ويطلق الذباب كأنه السحب السوداء. ولكن الكترا كانت قد حركت فى نفس أورست أعمق الانفعالات فما أن ينتهى الحفل حتى يكشف لها عن شخصيته فيذهبان سويا ليرسما خطة الانتقام من الملك والملكة .

ويكشف لنا المنظر الثانى عن جانب من القصر حيث نرى جوبيتر يحذر ايجست بعد أن سمع الحديث الذى دار بين أورست والكترا ، وتتجلى فلسفة الحرية عند سارتر فى الحوار الذى يدور بين كبير الآلهة وملك أهل أرجوس ، فالاثنان يريدان أن يغسلا أيديهما من الاثم وأن يطهرا نفسيهما من الندم ولكنهما مهما فعلا فستظل أيديهما ملطخة بالدماء فها هو جوبيتر يعترف : « كلانا يسعى الى أن يسود النظام ، أنت فى أرجوس وأنا فى العالم ، والسر الذى يوقر قلبى هو عين السر الذى يوقر قلبك .. ذلك أن الناس أحرار ، أحرار يا ايجست . أنت تعلم وهم لا يعلمون » . ولكن الملك كانت قد أثقلت ضميره الخطيئة وسئم التوبة والتكفير ، بل سئم الحياة أيضا فلم يعد يهتم بالدفاع عن نفسه ، وما هو الا أن ينصرف جوبيتر حتى يسرع أورست الى الملك فيقتله ثم يهرع الى أمه الملكة فيقتلها هى الأخرى ويعود الى أخته يردد صيحة البطل الوجودى الجديد : « انى حر يا اليكترا .. انقضت على الحرية انقضاض الصاعقة » .

وترتفع ستار الفصل الثالث عن أورست والكترا نائمين فى معبد أبولو عند قدمى التمثال بينما التفت حولهما الايرنيات خادمات الجحيم ، التفت حولهما فى دائرة كأنها سرب من مالك الحزين . وهنا يصل جوبيتر فيعرض عليهما أن يحميهما من الجمهور الغاضب الذى ينتظرهما عند باب المعبد ويضمن لهما ارتقاء عرش أبويهما . وكانت الكترا قد هزها مقتل أمها هزا عنيفا فرضخت لكلمات جوبيتر وترغيبه ، أما أورست فرفض الاذعان له . وأمام رفض أورست يأمر جوبيتر جدران المعبد أن تنشق ليطلعه على معجزاته وعلى ما له من سلطان . ولكن ذلك كله لا يزحزح أورست عن موقفه فيدور بين البطل الوجودى وبين كبير الآلهة أروع وأعمق ما فى المسرحية من حوار لأنه الحوار الذى تخرج منه بعصارة فلسفة سارتر فى الحرية :

أورست : .. أنت ملك الآلهة يا جوبيتر ، وملك الصخور والكواكب ، وملك الأمواج فى كل البحار. ولكن لست ملك الانسان.

جوبيتر : لست مليكك أنت أيتها الدودة الخالية من كل فطنة. ولكن من ذا الذى خلقك؟

أورست : أنت .. ولكن كان يجب الا تخلقنى حرا .

جوبيتر : انما وهبتك الحرية لخدمتى .

أورست : هذا جائز ولكنها انقلبت ضدك، ولاحيلة لى ولا لك فى ذلك .

جوبيتر : وأخيرا هذا هو عذرك .

أورست : لست معتذرا .

جوبيتر : أهذا حق ؟ أتعرف أن هذه الحرية التى تزعم أنك عبد لها تشبه كل الشبه أن تكون اعتذارا ؟

أورست : لست السيد ولا العبد ، وانما أنا الحرية .

فاذا كان الانسان حرا هكذا وكان يجب الا يصدر فى أفعاله الا عن الحرية ، فها هو أورست وقد فرغ من كلامه يسارع الى مواجهة الجماهير فى جرأة وشجاعة ليخبرهم بأنهم فى حل من كل الالتزامات التى فرضت عليهم جزاء جرمهم ، وبأنه وحده سيحمل عن المدينة كلها خطيئة قتل والده الملك . وتفسير ذلك وجوديا أن الحرية التى عناها أورست بقوله : « ذاتى حريتى » انما تتألف من سيطرته على دخيلة نفسه ومن معرفته لنفسه فى وقت واحد ، وهاتان هما الدعامتان اللتان ترتبت عليهما المطالبة بالحرية السياسية فى صورة التحرر من المستعمر الغاصب .

وبعد أن يعفى أورست الناس من هذا الاثم ليضعه على كاهله هو يتلاشى الندم ويموت الذباب لأن حياة جديدة أشرقت فى الضفة الأخرى من النهر وعلى الجانب الآخر من الجبال « وداعا أيها الناس وحاولوا أن تحيوا . فكل ما هنا جديد ، وكل شىء قد بدأ منذ اليوم فحسب ، وحياتى أيضا قد بدأت ويا لها من حياة غريبة » .

هذه هى الأسطورة الاغريقية القديمة كما عالجها سارتر معالجة جديدة كل الجدة ، معالجة دس فيها عصارة فكره وأودعها قطرات ضميره ليخلق بها انسان القرن العشرين . وأقول جديدة كل الجدة لأن التعديل الذى أدخل على المسرحية كان حقا تعديلا عجيبا يختلف كل الاختلاف عن التعديلات المعتادة .. فمسرحية الذباب ليست مجرد ترديد للمسرحية القديمة بعد أن صبت فى قالب عصرى حساس وعولجت معالجة فنية حديثة كما فعل جان جيرودو فى مسرحية « الكترا » ، ولا هى ترديد للقصة فى وضع عصرى جديد وبيئة سيكولوجية جديدة كما فعل اونيل فى مسرحية « الحداد يليق بالكترا » ، ولا هى احلال لقصة قديمة فى صياغة سريالية معاصرة كما فعل كوكتو فى « أورفيه » أو « الآلهة الجهنمية » ، وانما هى شىء يختلف عن هذا كله ، شىء بلغ من الاتقان والاحكام ما اضطر معه سارتر الى اعادة بناء القصة فى كثير من المواضع . وكم يحلو للانسان أن يقارن بين مسرحية « الذباب » لسارتر وبين « اجمونت » لجيته أو « وليم تل » لشيلر فهنا مسرحية تهيب بالانسان أن يواصل انتصاره من أجل الحرية ومن أجل مقاومة العدو ومن أجل الاطاحة بالمستعمر الأجنبى ، حقا ما أروع جرأة أورست الداعى الى التحرير .

وأيضا ما أروع جرأة الجهاز البشرى الذى اقدم على عرض هذا العمل على مسرحنا القومى ، انها جرأة لا يقدم عليها الا كل متمكن من أصول فنه وكل قادر على الانفعال الحقيقى بالعمل الجاد وفى طليعة هؤلاء المتمكنين الدكتور **محمد القصاص** الذى ارتفع بترجمته الى مستوى النص فكانت ترجمته نقلا أمينا لمكنون الروح السارترى وكانت لغته موصلا جيدا لأفكار سارتر . وفى رأيى أن هذه الترجمة اذ تعرض على المسرح فى هذا الوقت الذى يصطرع فيه أنصار الترجمة الى الفصحى ودعاة الترجمة الى العامية انما تقيم الدليل على أن اللغة الفصحى وحدها هى الكفيلة بنقل مثل هذا النص ، والا حاول أن تستبدل سطرا واحدا من هذه الترجمة بسطر آخر من العامية دون أن تبتعد ابتعادا كاملا عن جو سارتر بل دون أن يختل فى يدك العمل كله ، غير أنى آخذ على الدكتور القصاص استبداله كلمة الذباب التى أرادها سارتر بكلمة الندم التى وضعها هو ، فكلمة الذباب ليست مجرد عنوان يوضع على غلاف المسرحية وانما هى رمز أراده سارتر ومغزى ضمنه بنية المسرحية .

وبعد ذلك يجىء المخرج المثقف والفنان الأصيل الأستاذ **سعد أردش** ليرتفع بالاخراج الى مستوى النص تأليفا وترجمة وليحقق هدفين يكفيه أحدهما ليكون مخرجا كبيرا .. الأول أنه قدم الكترا سارتر لا الكترا أحد غيره من الكتاب وذلك بالمعايشة داخل كل التفاصيل الواردة فى النص والنابعة من روح الكاتب، فضلا عن التركيز على الكلمة أكثر من التركيز على الحركة ، وتأكيد الفعل أكثر من تأكيد الانفعال ومواجهة الجمهور بالمضمون أكثر من الانحصار داخل الشكل المسرحى . والهدف الثانى انه اقترب من تحقيق حلمه الكبير فى تقديم عمل مسرحى تكون البطولة فيه للكورس ، فقد وفق فى ادارة كورس الشعب وكورس الايرنيات توفيقا كبيرا بل وفق فى جعلهما شخصيتين أساسيتين فى المسرحية .

وبعد ذلك كله يجىء التمثيل الذى كنت أود أن يرتفع هو الآخر الى مستوى النص تأليفا وترجمة واخراجا ولكنه للأسف الشديد كان دون هذه المستويات بكثير ، والاستثناء الوحيد هنا هو **محمد السبع** « جوبيتر » الذى كان أفضل من غيره فى اداء دوره . أما **طارق عبداللطيف** فكان تحيلا شاحبا فى دور « أورست » كان يحتفظ دائما بالمسافة الطويلة التى تفصله عن الدور ، لم يحاول أن يضيق هذه المسافة ولم يحاول أن يرتدى الدور وكان فى امكانه ان يفجر طاقاته الدفينة ليكون عند حسن ظن المخرج ولكنه آثر أن يكون اورست شكلا وليس أورست فى المضمون . أما **سميحة أيوب** عملاقة المسرح العربى فلم تكن عملاقة فى أداء دور الكترا ،

والذى أعرفه أن الممثل الذى يأخذ على عاتقه أداء دور لسارتر لا بد أن يضع فى ذهنه أن سارتر قبل أن يكون الكاتب والفيلسوف كان الانسان الذى انتصر على كافة المثبطات وقاوم كافة المغريات ، الانسان الذى يطلع علينا كل حين بموقف بطولى رائع وكان آخر مواقفه العظيمة رفضه لجائزة نوبل بكل ما تحمله من كسب أدبى ومادى ، وأخيرا الانسان الذى يمثل بحق ضمير القرن العشرين .

« **جلال العشرى** »

الكتب نقد وتعريف

فلسطين

من أقوال الرئيس جمال عبد الناصر

بقلم يحيى عبد الحي

لا شك أن احداث الفترة الأخيرة تدل على أن مصير الاغتصاب لأرض فلسطين قد تقرر - وظهرت علامات تحتمه نجدها فى هذا الوعى القومى الذى استفزته النكبة فانطلق ثائرا مندفعا بقوة وتصميم وتأكدت هذه العلامات بانتصار هذا الوعى انتصارا ساحقا عندما قالت جماهير شعبنا للمناضل العربى جمال عبد الناصر «نعم» وبهذه الكلمات جددت جماهير شعبنا بيعتها لقائدها مكلفة اياه بأن يظل فى موقعه - القيادى - حيث تستمر به ومعه فى نضالها البطولى ضد عوامل التخلف والتجزئة وضد الوجود الصهيونى الغازى .. وتؤمن جماهير شعبنا بأن نضالها اليومى على كل المستويات والجبهات - فى المصانع والمدارس والحقول وغيرها انما هو جزء لا بد منه على الطريق الموصل الى استعادة الوطن السليب . ان المواطن العربى الفرد وقد جدد لعبد الناصر البيعة يؤمن تماما بأنه المناضل والزعيم والاخ - والانسان - الذى سوف يقوده بجدارة ومقدرة الى معركة المصير المرتقبة .. حيث يستعيد كرامته الضائعة وشرفه المرغ فى تراب فلسطين الشهيدة ..

ولقد تعودت جماهير شعبنا أن تلتقى بقائدها عن طريق الحديث العلنى المباشر الذى يطرح فيه القائد على الجماهير ما يسمى بأسرار الحكم قبل وخلال وبعد كل معركة او ازمة او حدث كبير .. ولقد أصبح هذا اللقاء على مسمع من العالم كله . أحد قوانين ثورة يولية ١٩٥٢ التى استنها قائد الثورة وهو قانون يقضى - باذاعة أسرار معارك التحرير ومعارك الوحدة ومعارك التحول الاشتراكى .. وكتاب اليوم : « **فلسطين من أقوال الرئيس جمال عبد الناصر** » هو احدى ثمرات هذه اللقاءات المباشرة بين القائد



المناضل وجماهير شعبنا .. يقول الرئيس فى مقدمة الكتاب عن تجربته الشخصية على ارض فلسطين عندما كان محاصرا مع كتيبته فى عراق المنشية « الفالوجا » :

« كانت شعوبنا جميعا تبدو فى مؤخرة الخطوط ضحية مؤامرة محبوكة اخفت عنها عمدا مايجرى وضللتها حتى عن وجودها نفسه .. واحيانا كنت اهبط من ارتفاع النجوم الى سطح الارض فاحس اننى أدافع عن بيتى وعن أولادى ولا تعنينى احلامى الموهومة والعواصم والدول والشعوب والتاريخ .

وكان ذلك عندما التقى فى تجوالى فوق الاطلال المحطمة ببعض اطفال اللاجئين الذين سقطوا فى براثن الحصار بعد أن خربت بيوتهم وضاع كل مايملكون ، وأذكر بينهم طفلة صغيرة كانت فى مثل عمر ابنتى وكنت أراها وقد خرجت الى الخطر والرصاص الطائش مندفعة أمام سياط الجوع والبرد تبحث عن لقمة عيش أو خرقة قماش .

وكنت دائما أقول لنفسى : - قد يحدث هذا لابنتى ، وكنت مؤمنا أن الذى يحدث لفلسطين كان يمكن أن يحدث ، وما زال احتمال حدوثه قائما

لاى بلد فى هـذه المنطقة مادام مستسلما للعوامل والعناصر والقوى التى تحكمه الآن .

ولنبدأ بعد ذلك فى استعراض أقوال الرئيس فى معـركة البطولة والشرف التى قادها ومازال يقودها ضد الصهاينة المعتدين ، ويقول الرئيس فى خطاب له فى الجبهة الشرقية بتاريخ ٤ مايو سنة ١٩٥٦ بعد أن استعرض دور حلف الاطلنطى فى تزويد اسرائيل بالاسلحة والطائرات الفرنسية الصنع: « بالنسبة لاسرائيل كلنا نعرف ما هى الاسباب التى من اجلها خلقت اسرائيل ، لا من اجل وطن قومى لليهود فحسب ، ولكنها خلقت لتكون عاملا من عوامل القضاء على القومية العربية الموجودة فى هذه المنطقة المتوسطة من العالم خلقت اسرائيل لاضعافنا واثارة المتاعب فى طريقنا .

ان دخان الغارة على غزة فى فبراير سنة ١٩٥٥ انجلى ليكشف عن حقيقة خطيرة تلك هى أن اسرائيل ليست الحدود المسروقة وراء خطوط الهدنة وانما اسرائيل فى حقيقة امرها راس حربة للاستعمار ومركز تجمع لقوى أخطر من اسرائيل ومن الاستعمار وهى الصهيونية العالمية ـ ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٧

ان المشكلة بين العرب واسرائيل كانت أولا حقوق شعب فلسطين المنهوبة وقد أضافت اليها اسرائيل مطامعها التوسعية ، فهى تستقبل فى العام الواحد أكثر من مائة ألف مهاجر ، فهل تستطيع اسرائيل بمواردها أن تستوعب هذا العدد ، ان نتيجة ذلك ستكون اعمالا عدوانية جديدة تستهدف التوسع ـ ٦ ابريل سنة ١٩٥٨ .

ونحن أفراد الجمهورية العربية المتحدة علينا مسئولية كبرى ، علينا أن نحمى القومية العربية والوحدة العربية حتى لا تسقط القومية العربية تحت هجمات الصهيونية التى تمثل حربا صليبية جديدة ضد القومية العربية وخلق ملك لاسرائيل من النيل الى الفرات . وذلك على الطريقة التى اغتصبوا بها فلسطين والتى عاملوا بها فلسطين ، مايو ١٩٥٩ ، وهذا يعنى احتلالهم لجزء كبير من سوريا والاردن وجزء من العراق ومصر ومن لبنان والسعودية . وهذا يعنى أن الصهيونية ومن خلفها الاستعمار تسعى لتقضى على القومية العربية وعروبة المنطقة قضاء كاملا ـ فبراير ١٩٦٠

فعلينا أن نذكر دائما وجود اسرائيل وان ندرك دائما أن اسرائيل ليست أمامنا وحدها ، وانما هى راس جسر للاستعمار ومركز امامى لاطماع الصهيونية العالمية فى وطننا . وعلينا ان ندرك ان استعادة حقوق شعب فلسطين ليس مجرد أمنية قومية وانما هو ضرورة حيوية لسلامة الامة العربية كلها وهو الطريق الوحيد لقهر الخطط الصهيونية واحلامها التوسعية وانه لمن الحق علينا أن ندرك أن كل تقدم تحرزه الأمة العربية وكل فاعلية تعطيها من نفسها لعقائدها سوف تجعلها فى المركز الاقوى وسوف تجعلها اكثر قدرة وتمكنا على مواجهة اسرائيل وما يساندها من قوى الاستعمار والصهيونية ـ « ٩ يوليو ١٩٦٠ » .

ولم يترك الرئيس المناضل جمال عبد الناصر مجالا واحدا سواء على الجبهة الاقليمية أو الجبهة القومية ، أو الجبهة العالمية الا ودعا فيه الى استرداد الوطن السليب .

فمن خطابه فى الامم المتحدة :

« لابد أن تتحمل الامم المتحدة مسئولياتها تجاه فلسطين وشعبها العربى ، وذلك هو الحل الوحيد لمشكلة اللاجئين من ابناء هذا الشعب وان الامم المتحدة تعلم من سوء أحوالهم ما يكفى لرسم صورة محزنة للظلام الذى يحيط بمليون من البشر طردوا من أراضيهم وديارهم وسلبوا كل ما كانوا يملكون . ولست أريد هنا استدرار الدموع على أحوال اللاجئين من شعب فلسطين وانما أريد لشعب فلسطين حقوقه كاملة ولا أريد له الدموع . وان التعلل بالامر الواقع لخطيئة كبرى ترتكب فى حق المبادىء ، فلو قبلنا هذا التعليل لما جاز مطاردة السارق لنسترد منه ما سرق ولنقتص منه بحكم القانون . ذلك أن سرقته تصبح بعد اتمامها امرا واقعا . ان الامر الواقع على غير أساس من العدل وحكم القانون اعوجاج يجب على المجتمع تقويمه وتلافيه .

وعن الأمر الواقع يقول الرئيس أمام مجلس الأمة فى أكتوبر ١٩٦٢ :

ان الأمر الواقع على الظلم لا يستحق انفاس الحياة ، وان السلام الذى لا يقوم على العدل انما هو فى واقع الامر هدنة مسلحة ـ وكان ذلك بصدد التعرض لمشكلة فلسطين . تلك القطعة من الوطن العربى الغالى التى اراد الاستعمار بجريمته فيها أن يمزق الوحدة الجغرافية للعالم العربى ، ومن ناحية أخرى جعلها قاعدة يهدد منها الشعوب العربية .

ومن خطاب الرئيس جمال عبد الناصر الى رئيس الولايات المتحدة السابق ، يقول الرئيس :

« لقد أعطى من لا يملك وعدا لمن لا يستحق ، ثم استطاع الاثنان « من لا يملك ومن لا يستحق » بالقوة والخديعة ان يسلبا صاحب الحق الشرعى حقه فيما يملكه وفيما يستحقه . تلك هى الصورة الحقيقية لوعد بلفور الذى قطعته بريطانيا على نفسها ، واعطت فيه من ارض لا تملكها وانما يملكها الشعب العربى – عهدا باقامة وطن قومى يهودى فى فلسطين ، وعلى هذا المستوى الفردى فضلا عن المستوى الدولى تكون الصورة على هذا النحو تشكل قضية نصب واضحة تستطيع اى محكمة عادية أن تحكم بالادانة على المسئولين فيها .

ويقول فى نفس الخطاب :

« ان موقفنا من اسرائيل ليس عقدة مشحونة بالعواطف وانما هو عدوان تم فى الماضى واخطار تتحرك فى الحاضر ومستقبل غامض محفوف بأسباب التوتر والقلق معرض للانفجار فى أى وقت .

ومن حديث للرئيس مع رئيس تحرير مجلة ليتز الهندية بتاريخ ٦ فبراير سنة ١٩٦٤ : يقول الرئيس « يبدو انه ليس هناك مفر من نشوب حرب ثانية فى فلسطين »

ان اسرائيل مصممة على أن تواصل التحدى ليس ضد العرب وحدهم وانما ضد الانسانية والمجتمع الدولى كله .

ومن خطاب للرئيس فى عيد الوحدة (٢٢ فبراير سنة ١٩٦٤) يقول الرئيس :

« اذا كانت اسرائيل بتقول انها لن تسمح لشعب فلسطين أن يعود ، كما قررت الأمم المتحدة فى سنة ١٩٤٨ و سنة ١٩٦٣ وهذا الكلام لا يقبل عمليا احنا بنقول انه لابد لشعب فلسطين ان يعود الى بلاده ويستعيد حقوقه كاملة غير منقوصة ، اذن احتمالات المستقبل حرب مع اسرائيل .. واحنا اللى نفرض وقتها واحنا اللى نفرض مكانها . يجب ان نكون قادرين على ردع اسرائيل حتى يستعيد شعب فلسطين حقوقه »

« ان اصرار شعبنا على تصفية العدوان الاسرائيلى على جزء من الوطن الفلسطينى هو تصميم على تصفية جيب من اخطر جيوب المقاومة الاستعمارية ضد نضال الشعوب . وليس تعقب سياستنا للتسلل الاسرائيلى فى افريقيا غير محاولة لحصر انتشار سرطان استعمارى مدمر « الميثاق – مايو سنة ١٩٦٢ » .

***

وبعد : فمن كل ماتقدم يتضح لنا أن صراعنا مع العدو ليس صراعا على حدود . بل هو صراع من أجل البقاء والوجود . ولن يستطيع العدو ان يرهبنا بعد الآن – اذا حافظنا على هذا المستوى الرائع من التصميم والثبات ضد كل أنواع التآمر الخارجى وضد كل دعاوى الانهزاميين فى داخل الحركة العربية الواحدة . اولئك الذين مازالوا يؤمنون بالحلول الوسط – مستخدمين الطرق والأساليب الديبلوماسية العتيقة فى قضايا تهم شئون امتهم المصرية – ان التحفظ فى عرف شعبنا من المحيط الى الخليج – يعنى الرفض والرفض يعنى التقوقع داخل حدود اقليمية متهالكة تصلح لكى تكون سلعة رخيصة فى سوق المضاربات المالية سواء بالدولار الامريكى او بالمارك الالمانى . ومع هذا فلن يرهبنا غدر العدو اذا بقينا يقظين واعين لما يراد بنا ، ولن تخيفنا اساليبه او اساليب سادته اذا القنا تجنيد كفاياتنا وامكانياتنا للمعركة التى يجب ان نعد لها وكانها واقعة اليوم . ان المصير قد بات واضحا اذا استمر نضالنا على روحيته وحميته واندفاعه ، وكل شىء يؤكد انه لن يبقى كذلك فحسب ، بل سيزداد حدة وعنفا وتصميما وكل شىء يقطع بأن الفجر قد لاح وما علينا الا المثابرة والاستمرار وكما تردد كتب التاريخ فى هذه الايام قصة الصليبيين وزوال ملكهم ، واندثار حكمهم ، كذلك ستتردد فى الغد القريب أصداء الثأر العظيم .

قصة تروى لاجيالنا العربية الصاعدة .

قصة بدأت فصولها بقول جماهير شعبنا للمناضل جمال عبد الناصر « **نعم** » وانتهت بدولة عربية واحدة تؤمن بالسلام القائم على العدل وتدفع بالتقدم البشرى والانسانى الى الأمام محققة وجودها ، باذلة اقصى جهود أبناء شعبها لخدمة قضية الانسان فى كل مكان

« **تحسين عبد الحى** »

كتب جديدة

تقديم أحمد الصاوي عبد الصمد

● **مطلع النور**

تاليف : المرحوم عباس محمود العقاد
الناشر : دار العروبة بالقاهرة

يقع الكتاب فى أكثر من ٢٥٠ من القطع المتوسط

وهو دراسة على جانب من الدقة والأهمية ، يدور البحث فيها – كما يشير المؤلف فى مقدمته – على نوعين من المقدمات : مقدمات تمهد لنتائج البعثة المحمدية ، وتفضى اليها ٠

ومقدمات تأتى النتائج بعدها – كأنها رد فعل لها ، وعلاج لأسبابها وعواقبها ٠

وفى هذه الدراسة قدم استاذنا العقاد أبحاثا فى الطوالع والنبوات ، والاحوال العالمية قبل الدعوة المحمدية ، والنبوة المحمدية ، والرسول سيد الأنبياء والاسلام دين الانسانية ، والكعبة بيت الله ، ثم أسرة النبى صلوات الله عليه ٠

● **الفرق بين الفرق**

تاليف : العلامة الاسفرائينى
تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد
الناشر : مكتبة محمد على صبيح وأولاده بالأزهر

الكتاب يقع فى ٣٦٨ ص من القطع الكبير ، والطبعة التى بين أيدينا هى الطبعة الثالثة ، والمؤلف من العلماء الأعلام ، فهو الامام الحجة أبو المظفر الاسفرائينى المتوفى عام ٤٢٩ هـ وكتابه كما يذكر المؤلف من خير ما ألف فى هذا الموضوع ، موضوع اختلاف المسلمين وتعدد فرقهم ، وقد تناول المؤلف هذه الفرق جميعا ، كالقدرية ، والخوارج ، والروافض ، والمعتزلة ، والمرجئة ، وغيرها ، كما تناول بالتفصيل الأصول التى اجتمع عليها أهل السنة ، وهى خمسة عشر ركنا ، وآراء أهل السنة فى سلف الأمة ٠

وفى ايجاز هذا الكتاب مرجع أصيل فى تقييم الفرق الاسلامية التى انتسبت الى الاسلام ، وقد كان لتحقيق الاستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد تقدير آخر لهذا المرجع الأصيل ٠

● **تحرير التحبير**

تاليف : ابن ابى الاصبع المصرى
تحقيق د ٠ حفنى محمد شرف

الناشر : المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ٠

هذا الكتاب يقع فى ٧٠٠ صفحة من القطع الكبير والمؤلف من علماء القرن السابع توفى عام ٦٥٤ هـ

وهو فى صناعة الشعر والنثروبيان اعجاز القرآن ويعتبر هذا الكتاب مرجعا مهما للدراسات البيانية ومصدرا قيما لها من الناحيتين التاريخية والادبية ٠

وقد بذل المحقق الدكتور حفنى محمد شرف مجهودا مشكورا فى اخراج الكتاب وتحقيقه التحقيق العلمى ٠

● **الاسلام والتطور الاجتماعى**

تاليف : عبد العالى المظفر

الناشر : مطبعة الآداب – النجف

يقع هذا الكتاب فى ١٢٤ صفحة من القطع المتوسط والهدف من دراسته الاطلاع على قدرة ذلك التشريع الاسلامى بما يملك من أساليب وأحكام واهداف على التغلغل فى كافة هذه المجالات المتنوعة واستيعاب ابعادها ٠

عرض الكتاب لدور العقيدة فى تطور الانسان والحياة ، والعقيدة فى مجالات الحياة المتنوعة ، وتاريخ الدعوة ، ثم بعض أسباب نجاح التشريع الاسلامى فى العمل والتطبيق ، وهذا مضمون الجزء الاول من الكتاب وأما الجزء الثانى فسيصدر عما قريب ٠

● **ثروتنا المائية**

تاليف : د. انور عبد العليم

الناشر : دار القلم

هذا الكتاب الذى يقع فى زهاء ١٥٠ صفحة من القطع الصغير هو العدد الاخير من سلسلة المكتبة الثقافية التى تصدرها الثقافة والارشاد ، عرض فيه المؤلف لتاريخ الصيد والمصايد فى مصر القديمة ، والبيئة البحرية والاتجاهات الحديثة فى ابحاث الصيد، ومصادر ثروتنا المائية ، والمزارع السمكية ، ثم صناعة السمك .

والكتاب على صغر حجمه دراسة مستوفاة فى موضوعها .

● **احلام شهر زاد**

تاليف : د. طه حسين

الناشر : دار المعارف

سلسلة اقرأ من السلاسل القيمة المعروفة التى اصدرتها دار المعارف منذ عام ١٩٤٢ ، وهذا الكتيب هو العدد الأول منها ، طبع الطبعة الثانية عام ١٩٥٤ وهذه هى الطبعة الثالثة ، والقصة استوحاها كاتبنا الكبير من القصة المشهورة الف ليلة وليلة ، وقد اضفى عليها من اسلوبه الأدبى الرفيع .

● **الصراع الأدبى بين القديم والجديد**

تاليف : على العمارى

الناشر : دار الكتب الحديثة

يقع الكتاب فى ٣٢٠ صفحة من القطع المتوسط وعرض المؤلف فيه لحركات التجديد فى الأدب العربى وابان عن مظاهره فى العصور المختلفة .

ثم عرض للخصومات الأدبية التى احتدمت بين أنصار القديم وأنصار الجديد منذ عهد الرواة فى القرن الثانى الهجرى الى عهد المجددين الاوائل فى هذا القرن ، وخصومهم من المحافظين على القديم ، ثم خصومهم من دعاة التجديد الحديث .

وابرز بصفة خاصة الخصومة حول تجديد الالفاظ ، وتجديد العبارة ، وتجديد معانى الشعر، وتجديد الأوزان والقوافى ، وناقش آراء خصوم الأدب البيانى ودافع عن كتابنا الكبار من أمثال طه حسين ، والعقاد ، والرافعى ، والزيات .

وتحدث عن مستقبل الشعر وأوضح أسباب تخلفه بعد عهد شوقى ، وحافظ ، ومطران .

وعرض لقضية الدعوة الى العامية وابان عن الأغراض الخبيثة التى يستهدفها أصحابها .

وقد قدم له الكاتب الكبير أستاذنا احمد حسن الزيات ، وجاء فى تقديمه بعد أن بين الحدود التى يصح فيها التجديد فى الأدب ، قوله : (اما الضلال والانحلال ، والتعسف ، والشطط ، والشعوبية التى تجافى اللغة ، والشيوعية التى تنافى الدين ، والاقليمية التى تحاصر الأدب ، فقد كفانى أمرها الاستاذ الصديق على العمارى فى هذا الكتاب، الذى عرض قضية الصراع الأدبى فى خلال القرون ، منذ تجهم النقاد الأولون لشعر عدى بن زيد الى ان نشبت فى العهد الأخير معركة (الديوان) .

ثم تكلم على نزعات التجديد فى القدامى والمحدثين، وكشف عن الاعتدال ، والقصد ، أو الاسراف ، والغلو ، فى أولئك ، وهؤلاء . وابان عن الزيغ ، والزيف فى أقوال المنحرفين المعاصرين ممن أضلهم الله على علم، وضرب لهم مثلين : شيخا أحمق ، يزعم أن تراثنا منذ القرن الثالث للهجرة ينبغى أن يلقى فى المحيط !

وناقد اخرق ، يدعى أن الشكل القديم للشعر العربى هو علة ما أصابنا من فساد فى الأدب ، والخلق ، والسياسة !

ثم قطع ألسنة المتطاولين على شيوخ الأدب فى مصر من سفهاء لبنان ، بالحجة الناهضة ، والمنطق السليم.

وحمل على دعاة العامية حملة ، فضحت المخبوء فى سرائرهم ، من كيد للاسلام ، وحقد على العروبة .

وعلى الجملة فقد عالج فى الوقت المناسب ،وبالرأى الصائب ، وجوه هذا الصراع الأدبى ، الذى يتجدد على تعاقب العصور ، ويتولد من اختلاف الظروف ، ويقف الناس منه موقف الجامد ، الذى يعارض ولا يغير ، والمعتدل الذى يقبل ، ولا يسرف ، والمتطرف الذى يميع ، ولا يتماسك . ثم يحتاج هؤلاء جميعا الى كتاب لهذا الكتاب ، ليبعث الحركة فى الجامد ، والقوة فى المعتدل ، والبصيرة فى المتطرف .

« احمد عبد الصمد دياب »

قراءات فى المجلات العربية

يقدمه : محمد العوانى



× الوحدة الثقافية فى كفر الشرفا :

افتتحت ظهر السبت ٢٠ من مارس ١٩٦٥ اول وحدة ثقافية فى قرية كفر الشرفا بمحافظة القليوبية ، وحضر حفل الافتتاح الأستاذ يحيى ابو بكر نائبا عن د. «عبد القادر حاتم» وقد بين «يحيى ابو بكر» ان «الوحدة الثقافية فى كفر الشرفا ليست الا بداية الانطلاق نحو آفاق اوسع للثورة الثقافية فى ارجاء الريف ، الذى يضم السواد الاعظم من السكان ، وانه بعد ان تم تنفيذ التجربة التى وضع الدكتور عبد القادر حاتم خطوطها ورسم للقائمين بها اهدافها وابعادها ، فان وزارة الثقافة تضع نتائج هذه التجربة تحت تصرف المحافظين وجميع الهيئات والتنظيمات المعنية بالنهوض بالريف ، بحيث يمكن ان يشهد المستقبل القريب انشاء مثل هذه الوحدة فى جميع قرى الجمهورية العربية المتحدة ، لتؤدى رسالة الثورة الثقافية ، وتؤدى دورها كخلية حية فى المجتمع الاشتراكى .

× السلوك الاشتراكى :

ويتابع «**يحيى ابو بكر**» مقالاته في مجلة «**الثقافة**» وعنون لمقاله الثانى بـ« مشكلات وحلول على الطريق الاشتراكى » بين فيه أن السلوك الاشتراكى فلسفة منبثقة اساسا من كرامة الانسان ، ومن احترام العمل ، ومن التضامن بين افراد المجتمع ، بل بين أجياله المتعاقبة ، ومن الاحساس بمسئولية مشتركة فى حماية الحرية والتقدم ثم اوضح أن هذه الفلسفة لابد ان تزداد عمقا وان تلتقى بتراث عظيم من القيم ، حتى تتجلى عنها أنواع من الحجب ، والوان من التزييف فرضتها الرجعية وقوى التخلف والاستغلال ، ثم يضيف «أن على القوى المتحررة المنطلقة ثوريا نحو البناء فى هذه المنطقة من العالم تجد لزاما عليها ان تعمل يدا فى يد مع جميع الشعوب ، لتصفية الاستعمار والاستعمار الجديد، ولتحمى انجازاتها الثورية من العدوان ومن محاولات التخريب ... واشتراكيتنا ليست اشتراكية تعيش فى عزلة عن العالم ، وحتى لو أرادت ذلك فلن تستطيع ، فالتيارات العالمية فى النصف الثانى من القرن العشرين تقتضيها ان تكون فى منتهى اليقظة وان تواجه مسئولياتها على المستوى العالمى بنفس القدرة التى تواجه بها مسئولياتها فى الداخل ، والتى تواجه بها مسئولياتها على الصعيد العربى.

× سارتر فى مؤتمر الادباء العرب ببغداد :

سبق ان اشرنا فى العدد الماضى الى ما قالته «نازك الملائكة» فى مؤتمر الادباء العرب بالعراق حول الاقبال الشديد على قراءة أدب الغرب ، وما نتج عن ترجمته الى اللغة العربية فى رأيها من اثر سيىء على الحياة العقلية حتى أصيبت بالانحراف ، كما رات نازك أننا اخذنا عن الغرب فيما اخذنا موقفهم من الدين .. الخ .

ولنضيف هنا رأيها فى سارتر الذى مهدت للحديث عنه بأن القراء واعوانهم من الشعوبيين يوحون لليافعين بأن هناك ادبا عالميا يتخطى الحدود ويعبر عن نفسية الشعوب اجمعين ، وان هذا الأدب يقبل فى كل مكان دون نقاش كما يوحون اليهم بأن من لم يقبل هذا الادب فهو اما جامد او رجعى او جاهل ووسيلتهم فى ذلك هى اتخاذ بعض الاسماء الغربية ـ تحت شعارى الانسانية والحرية ـ لكى يضعوهم على عرش هذه العالمية .

وتقول «نازك» : ان ابرز هـذه الاسماء تأثيرا فى حياتنا هو « بول سارتر » الاديب والفيلسوف الفرنسى اليهودى .. ثم أن اغلب آراء سارتر تناقض روحانيتنا وحضارتنا ، ومن هنا ترى انه « لا مصلحة لنا فى اعتناقها الا اذا اردنا ان نهدم انفسنا»

كما اشارت ايضا الى ان «سارتر» هو ناشر «فلسفة الغثيان» ومضمونها أن المجتمع بغيض ، وان وجود الناس حولنا هو الجحيم ، وان الاخلاق والمثل والتقاليد سخافات يتلهى بها السطحيون ، .. وان «الانسان غير مسئول لا امام الله ، ولا امام الضمير ، ولا امام المجتمع».

وقد اختلف مع «نازك» فى بعض آرائها الدكتور « سهيل ادريس » ودافع عن سارتر فنفى عنه ان اصله يهودى او انه يؤيد الصهيونية او اسرائيل، واستدل على ان اصله غير يهودى ما اوضحه سارتر فى كتابه «الكلمات» من أن امه بروتستانتينية، واباه كاثوليكى وانه يرجع الى اصل المانى من اسرة شويتزر ، ويمضى الدكتور سهيل مبينا ان سارتر اذا درس دراسة عميقة موضوعية متكاملة فاننا نجده « كاتب اخلاقى فى الدرجة الأولى » .

وفى معرض الدفاع عن كل من الفكر والادب الغربيين فان سهيل قد اوضح أن نازك شوهت جميع اعمال المترجمين المحدثين ، واهملت واقع الفكر العربى وطبيعة نتاجنا الحديث .. ويقول الدكتور سهيل « لقد سبق للغرب ان اقتبس طوال قرون من نور الحضارة العربية فى القرون الوسطى، وتأثر بها حتى اندرج هذا التأثر فى كيان فكره ذاته فليس من عيب ولا عار علينا ان نتأثر ونقتبس، ونحن فى طريقنا الى خلق حضارتنا وفكرنا الجديدين، اننا حين نقتبس اليوم من الغرب ، نقتبس بعض آثار فكرنا وماضينا وعراقتنا ونسترد بعض فضلنا ».

× المخطوطات العربية فى الاتحاد السوفييتى !

وفى مجلة «المعرفة» السورية مقال للمستشرق السوفييتى رستم عليف عن المخطوطات العربية الموجودة فى الاتحاد السوفييتى ، تبين الاماكن التى تحتوى عليها ، اما كيف وصلت هذه المخطوطات الى الاتحاد السوفيتى فان هذا المستشرق اوضح أن تاريخ شعوب آسيا الوسطى وما وراء القفقاس مرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ العرب ،فالعرب قدموا لهذه الشعوب الدين الاسلامى ، كما قدموا ايضا اليها تقاليدهم العلمية والثقافية واللغوية ، ثم يمضى المستشرق عليف موضحا انه منذ بدء انتشار الاسلام فى هذه المناطق «اصبحت اللغة العربية لغة العلم والثقافة والدين وظلت اللغة العربية على هذه الحال حتى القرن الخامس عشر الميلادى ، ثم يذكر ان كثيرا من العلماء العرب حين سافروا الى روسيا لتدريس اللغة العربية فى معاهدها العالية حملوا معهم مكتباتهم التى حوت هـذه المخطوطات وباعها ابناؤهم واحفادهم بعد وفاتهم .

ويبين المقال ان اللغة العربية كانت فى بلدة «داغستان» حتى اواخر القرن الماضى ، لغة العلم والثقافة والادب ، وكان الداغستانيون يكتبون مؤلفاتهم وأبحاثهم بها ، مما ادى الى وجود عدد ضخم من المؤلفات والمخطوطات العربية فى هذا البلد ، وقد اشار المقال ايضا الى ان اقدم مخطوطة موجودة فى الاتحاد السوفييتى يرجع تاريخها الى اواخر القرن الأول الهجرى اى (٧٢١ م) ، وتتضمن هذه المخطوطة رسالة من «ديفاستيش» والى ناحية قرب بخارى الى حاكم خراسان الذى ولى بعده قتيبة بن مسلم وكان لاكتشاف هـذه المخطوطة ما جعل كثيرا من المؤرخين الاوربيين امثال «جب» و « ماسينيون » يعدلون عما قرروه فى كتبهم من ان المعلومات التاريخية الموجودة فى المصادر العربية ليست صحيحة كليا .

اننا فى هذه المرحلة محتاجون الى الكشف عن كنوزنا المبعثرة ، وان نوجه اليها عناية كبيرة حتى تكون فى متناول ايدينا ، اذ ان هذه المخطوطات لن تفيدنا وحدنا وتبرز لنا جوانب مشرقة من تاريخنا القديم ، بل ان ما فيهم من المحتوى العظيم ماتعود فائدته بلا شك على العالم اجمع .

« محمد الغوانى »

وجها الوجه

قصة بقلم : محمد عبد الحليم عبد الله

كانت تحاول جاهدة ان تتفاهم مع هذا الذى غشها . انها تعرفه منذ سكنت فى هذا الحى . بائع اللبن .. هذا الطيب ... الذى تفوح من دكانه روائح تشتهيها النفس .. وفى واجهة محله الزجاجية أطباق القشدة المسكرة والمهلبية باستمرار وكل الناس يثقون فيه . ولكن ... لماذا غشها ؟! هى بالذات . والمؤلم فى الموقف ان أحدا لن يصدقها. وهى الآن تعذب نفسها الى درجة لا تحتمل فهمها للموقف وحدها دون الناس جميعا وهو انه تستر بثقة الناس فيه وغشها هذا الغش الفادح .

شعرت انها جائعة متعبة ساعة استيقظت من النوم . عظامها تؤلمها حتى النخاع : « يا الهى .. لم اكن كذلك ليلة امس فقد عدت من عملى آخر الليل وأنا فى غاية من الصحة والبهجة كذلك . فقد شهدت فيلما أنا وحبيبى .. أضحكنا حتى دمعت عيوننا ... لكن ... ما هذا العناء ؟! » .

واتجهت الى المطبخ المظلم ـ ولو ان الوقت صباح ـ واشعلت النور ووابور الجاز . وضعت اللبن على النار حتى غلى ثم أخذته وجلست وحيدة فى الشقة الصغيرة المعزولة وجلست تشرب . وعند الجرعة الاولى احست كان التعب غير كل طعم فى فمها . نعم . لكنها عاودت الأمر . فما لبثت ان اكتشفت ان الرجل لم يبع لها لبنا بل نوعا من الجير مذابا فى الماء لسع فمها واحرق لسانها فاسرعت تهبط السلم اليه وغضبها يغلى . على جسمها (روب) والحر شديد وهى تشعر بالبرودة والعرق يتصبب من جبينها واطرافها ترتعش . والمرئيات أمامها مهزوزة وهى فى طريقها الى اللبان .

وعندما وصلت الى باب دكانه الفت امامه عددا من الزبائن وهو واقف فى جلباب ابيض تبدو على وجهه طمانينة من لم يعرف الاثم . فزاد ذلك من حدة غضبها . ووقفت تصرخ بأعلى صوتها وريقها جاف والعرق على جبينها بارد :

ـ انت غشاش . انت غشاش ... ليس هذا لبنا ؟!

ونظر اليها الناس فى ذهول . ان احدا لا يصدق هذه التهمة . ولوى بعض الواقفين شفته وربتت امرأة على كتفها وهى تقول لها :

ـ التعب ظاهر عليك ..

فصرخت الفتاة :

ـ لا .. انه باع لى بدل اللبن جيرا . انظروا ... الى فمى الملتهب .. شفتى السفلى قد تورمت آه ... والعليا بدأت كذلك .. هل خدعكم وجهه الطيب .. ان ... آه ...

وتهالكت على كرسى بلا مسند امام الدكان . وقد بلغ الظما حد من ضل فى الصحراء . واسندت راسها الى الحائط واخذت تبكى . وكانت بين الوهلة والوهلة ترى منظر البائع من بين اهدابها وهو يرسل اليها نظرة شماتة . شماتة من غشها وحدها دون الناس فكسب الناس فى صفه . وبلغ بها الغيظ حدا دفعها الى الانتقام فتحاملت على نفسها وهجمت عليه . تريد ان تشفى غليلها وتضربه بشىء ما . وقع بصرها على وعاء نحاسى كبير فامسكت به فاذا بها تصرخ . كان نازلا من على النار لتوه وافرغ منه اللبن فأحرق اصابعها . وندت من البائع ضحكة صغيرة نصفها شامت ونصفها مثير وضحك منها الناس : «على الباغى تدور الدوائر»

وزاد من عذابها ان احدا لا يصدق ما بها . لا المها النفسي ولا المها الجسمي . فخرجت تتعثر في الروب وصعدت السلم تلهث . ولما دلفت الى الصالة وجدت كوب اللبن لا يزال في مكانه فضربته بكفها فاراقته على الارض ثم اطرقت على المائدة ... شعرت أن رأسها مليء بالرصاص ... وان «هرقل» نفسه لا يقوى على حمله بهذه الصورة . لكنها أحسست بالجوع ... جوع والم في آن واحد ... ان معدتها تعبر عن وجهي الحياة . فهي تحس بالشهية ودبيب المغص . وعادت اليها لقطة من الفيلم المضحك الذي شاهدته مع حبيبها ...

« زوجان يتعاركان وهما ياكلان ... وكانت المرأة تاكل ودموعها على خدها . وقال لها حبيبها ساعتئذ : انها تركت اسنانها تؤدي وظيفتها كما تركت عينها تؤدي وظيفتها » .

وهكذا هي الآن . وتأوهت . ورفعت راسها ومدت يدها الى الخبز . وقطعت منه قطعة . اخذت تلوكها في هدوء كمن يفتش عن فكره . عيناها شاردتان والصداع يدق ... لكنها سرعان ما اكتشفت شيئا اثارها ... ان الخبز مغشوش ... انه ليس دقيق ذرة ولا قمحا ولا ارزا .. وبصرف النظر عن الدقيق فان اسنانها كلها اخذت تنبح ... لقد مضغت رملا ، وطعم التراب يملأ فمها .

ووقفت تفكر . لم تستطع ان تفصل بين الحادثتين ... حادثة اللبن وحادثة الخبز . لان الطاقة الانسانية لا تستقبل الحادثة الثانية بنفس اكتمالها الاول ، وشعرت كانها مضطهدة . أو على الاقل غير موضع احترام أو كانها ليست أهلا لأن تنال الحق العادي الذي يناله كل مواطن ...

واستحضرت صورة بائع الخبز . ذلك الرجل الذي يكتسي ملابس الريف وملامحه في المدينة . الذي لم يغير لهجته ولا فطرته ولا تقاليده . ذو الوشم على المعصم والصدغين . المستقيم مثل شعاع الشمس على الحقول ... يغشها هي ؟! .

وكشراع ملاه الهواء تحركت نازلة فالرجل على مقربة من الباب ، ومشت تتعثر . اطرافها باردة واريقها جاف وراسها في ثقل كرة من الرصاص . حتى اذا ما وصلت الى دكانه الفته واقفا خلف « البنك » يبيع في هدوء فطري سليم . لم تزوده الطبيعة باحدى علامات المراوغة والناس أمام الدكان ياخذون ويعطون . لكنها وقفت وصرخت فيه :

ـ انت غشاش .. انت غشاش ... كيف تبيع لي رملا بدل الخبز .. ان اسناني ... آه .

ووضعت يدها على فمها كانها تحول بين نفسها وبين الالم . ونظر اليها الناس في ذهول . ان احدا لايصدق هذه التهمة . ولوى بعض الواقفين شفته وربتت امراة على كتفها وهي تقول لها :

ـ التعب ظاهر عليك .

فصرخت الفتاة :

ـ لا .. انه باع لي رملا ... انظروا ... ان اضراسي تكاد تسقط ولثتي ملتهبة وشفتي السفلى قد تورمت ... اللبان وبائع الخبز .. معا ... آه ... اى ...

وتهالكت على كرسي بلا مسند امام الدكان وقد بلغ بها الظما حد من ضل في الصحراء .. وأسندت راسها الى الحائط واخذت تبكي . وكانت بين الوهلة والوهلة ترى ذلك الرجل الريفي الطيب ذا الوشم على المعصم والصدغين ينظر اليها من بين أهدابه نظرة شماتة . شماتة من غشها وحدها دون الناس فكسب الناس في صفه . وبلغ بها الغيظ حدا دفعها الى الانتقام فتحاملت على نفسها وهجمت عليه تريد أن تشفي غليلها وتضربه بشيء ما ، ووقع بصرها على السكين الذي يقطع به الخبز لمن يريد نصف رغيف فأمسكت به فاذا بها تصرخ . فقد قبضت على نصله بدلا من أن تقبض على يده فناص في كفها . وندت من البائع ضحكة صغيرة نصفها شامت ونصفها مثير وضحك منها الناس : « على الباغي تدور الدوائر » وزاد من عذابها أن احدا لا يصدق مابها . لا المها النفسي ولا المها الجسمي . فخرجت تتعثر في الروب بكف محروقة من النحاس ومجروحة من السكين ، وصعدت سلم بيتها تلهث . ولما دلفت الى الصالة وجدت الرغيف لايزال في مكانه على المائدة فامسكته وفتتته .. مزقته كانه جلباب ذلك البائع ورمت به الى الارض فاذا به يتناثر في اللبن المراق ... وبعد قليل سمعت مواء قطة عبرت اليها من شباك الحمام عن طريق المسقط وتسللت بخفة في خطواتها

المخملية ونظراتها الكهرمانية ثم أخذت تأكل الخبز باللبن .

كانت مستندة رأسها الى المائدة وصوت لعقات القطة الرتيب المتلذذ يصل الى أذنها كأنه صوت شماتة . فأخذت تتساءل : « وهل تأكل القطة الجبن ؟ » .

أخذت الحيرة تدور بها .. كفراشة مرهفة امام زجاج مقفل . لكنها ... مالبثت أن أحست بالجوع جوع وألم فى آن واحد . معدتها تعبر عن وجهى الحياة فهى تحس بالشهية ودبيب المغص . وعادت اليها اللقطة السابقة من الفيلم الذى شهدته هى وحبيبها ليلة أمس .. ثم أحست كأن يده تدب الى فخذها فى الظلام ...

بادرتها رائحة لذيذة . وصلت اليها ... صافحت انفها ثم غابت . كبقية عطر فى منديل مغسول .

ثم ما لبثت ان انغمست فى آلامها ... ان معدتها تتقلص ... كل شىء يؤذنها بالخطر . وهى وحيدة فى الشقة . وكان عليها أن تبلغ رئيستها فى المستشفى الحكومى الذى تعمل حكيمة فيه .. عليها أن تبلغها أنها مريضة . هناك اشياء لا تقبل التأجيل . لكن لم يعد فى استطاعتها أن تنزل حتى لتتصل بها بالتليفون ...

وتذكرت علبة الدواء الذى تأخذه عادة عندما تهاجمها هذهالنوبات فقامت اليها...كانت جديدة . رفعت ورقها الشفاف ثم حركت الغطاء فانفتح فاذا بداخل العلبة شىء غريب . اقراص بدل الحبوب ... وهى لصلتها بالطب لا يمكن أن يغيب عنها هذا . وفاحت من العلبة رائحة نفاذة ... رائحة يعرفها الطفل ... انها رائحة نعناع ... ولكنها لم تصدق نفسها فقطمت وذاقت فاذا بالوهم حقيقة لا تقبل الجدل ...

عندئذ أحست بقواها تخور : « حتى الدواء .. هذا مريع .. » كم تود أن تنزل الى ذلك الصيدلى لتفضحه على قارعة الطريق .. لكنها عاجزة تماما عن جر ساقيها . كان أولى من ذلك كله ان تعتذر للمستشفى عن الحضور ... راسها من الرصاص ... وعرقها بارد ...

غير أن الغضب عصف بها فمنحها قوة عصبية. فهبطت السلم وهى بنفس الملابس .. الروب يلف على ساقيها والحر شديد والمرئيات أمامها مهزوزة وهى فى طريقها الى الصيدلى .

وعندما وصلت الى هناك وجدته واقفا امام احد الدواليب فى معطف أبيض مثل ورقة السوسن . وعلى وجهه جد العلماء واستقامة من يأتمنه الناس على حياتهم . وناس يأخذون ويعطون . لكنها دلفت اليه وصرخت فيه :

ــ انت غشاش ... انت غشاش ...
تفرغ العلبة من الدواء وتضع فيها اقراصا من النعناع ؟

ونظر اليها الناس فى ذهول .. ان احدا لا يصدق هذه التهمة . ولوى بعض الواقفين شفته . وربتت امرأة على كتفها وهى تقول لها :

ــ التعب ظاهر عليك ..

فصرخت الفتاة :

ــ لا .. انه باع لى نعناعا .. بدل الدواء الغالى.. الغالى .. الغالى .. آه ...

شفتى ملتهبة .. ويدى محروقة ومجروحة.. واسنانى تؤلمنى .. هل خدعكم وجهه الطيب ... آه ... اى ...

وتهالكت على كرسى بلا مسند فى الصيدلية واسندت رأسها الى زجاج دولاب . وبين الوهلة والوهلة كانت ترى منظر الصيدلى وهو يرسل اليها نظرة شماته . شماته من غشها وحدها دون الناس فكسب الناس فى صفه .

وبلغ بها الغيظ حدا دفعها الى الانتقام فتحاملت على نفسها ودلفت الى الداخل ... حيث وجدت زجاجة مليئة بحامض ... كانت تريد ان تقذفه بها ... تريد أن تقتله ... انها لم تحتمل هذا النوع من الغش . كله الا الدواء ...

لكن الناس تجمهروا وامسكوا يديها .. وقادوها الى الخارج حيث أجلسوها على كرسى وقدموا لها كوبا من الماء المثلج .

احست ان ريقها ابتل هذه المرة . كأنما تقعت هذه الشربة كل عطشها ... النار التى فى صدرها بدات تبرد . وكانت مسبلة أجفانها فسمعت صوتا

نسويا عذبا هو صوت المرأة التى سقتها تقول لها :

ـ هنيئا ..

فتحت عينيها فاذا بها تعرفها ... انها زميلتها الممرضة معها فى مستشفى الحميات حيث يعملان معا . لم تكن فى الصيدلية حيث خيل اليها ان هذه الحوادث تدور . بل كانت راقدة فى سرير المرض محمومة .

وابتسمت لزميلتها وردت بصوت واهن :

ـ هناك الله ... مالى بادرية ... آه .. انا نسيت .. نسيت اننى محمومة واننى هنا . فى المستشفى الذى أعمل فيه حكيمة .. آه ... ياله من عذاب ... الغش ... الغش ..

ضحكت زميلتها :

ـ اقسم لك بالله اننى ما غششتك .. لقد اعطيتك كل الادوية التى كتبها لك الاطباء ولذلك فقد تماثلت سريعا للشفاء . لم انقص ولم ابدل وليس هذا طبعى كما تعرفين ... تعرفين اننى اخاف الله ... وحتى على الاقل احترم ضعف الانسان ...

وعادت تضحك . شعرت المريضة انها كانها مولودة ولم تسمع من قبل ضحكة على الأرض . هذه مرة . نظرت الى زميلتها وعادت تهمس :

ـ العطش .. عرفته .. قابلته وجها لوجه .. فى الخبز واللبن والدواء . وذقت بسببه العذاب . غشونى وحدى .. عرفت معنى ما فعلت .. معنى سلب الدواء من المريض وانا فى هذا الفراش يا صديقتى .. تبت ...

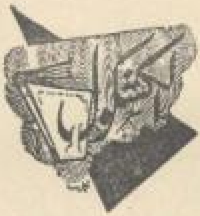
ردت زميلتها مداعبة :

ـ **تبت عن الحب ؟**

همست وكفها على راسها فى موضع الصداع :

ـ لا .. لو عرف قلبى طريق الحب ما فعلت كل هذا ... آه ... دعينى أنام ...

« **محمد عبد الحليم عبد الله** »



● من امثلة الركاكة المقلدة المخربة للغة العربية، التى أشارت اليها نازك الملائكة ، قول لويس عوض فى افتتاح مقال له أخير بالأهرام :

« **منذ صدر ديوانه الاول (ازهار ذابلة) عام ١٩٤٧ بدأ بدر شاكر السياب يمر فى مرحلة القلق** ... »

* * *

● فى حديث بالاذاعة (البرنامج الثانى ـ مجلة الأدب) نقد الزميل الدكتور أحمد كمال زكى نازك الملائكة نقدا يدل على أنه لم يقرأ بحثها ، أو قرأه متعجلا ، اذ نسب اليها أنها هاجمت الترجمة عامة ، وعلى هذا جعل يبين فائدة الترجمة الى العربية واثراها لحياتنا الأدبية . **والواقع ـ كما رأينا ـ أنها نقدت نوعا معينا من الترجمة له أثر ضار باللغة العربية .**

* * *

● استعمل الدكتور زكى فى حديثه ذاك عبارة « **الشعوب العربية** » وهو بصدد نقد توصيات مؤتمر الأدباء العرب ، وهذا أيضا يدل على انه لم يقرأ كل التوصيات ، أو قرأها متعجلا ، ولو تمهل لرأى فيها :

« **يوصى المؤتمر رجال الفكر والادب بتحاشى استعمال عبارة «شعوب عربية» فى الدلالة على الأمة العربية او على الشعب العربى** » .

* * *

● وردت كذلك عبارة « **الشعوب العربية** » فى مقال **الدكتور محمد مندور** الأخير فى مجلة « حوار الصهيونية » .. وسيادته كان عضوا بمؤتمر الأدباء العرب !

« **عباس خضر** »

مع فنان

تقديم اميل جرجس

ان العمل الفنى فى مجتمعنـا الحديث اصبح ضرورة من الضروريات الثقافية الهامة المتشعبة الاطراف ٠٠ حيث يبدأ بوجود الفنان الخلاق المبدع فلا يمكن ان يستغنى أى مجتمع من مجتمعاتنا الحديثة عن هذا الفنان ٠

العمل الفنى مهما كان نوعه سواء فى الفن التشكيل او الأدب او الشعر او خلافه يمثل ذاتية صاحبه أصدق تمثيل ويعكس عالمه الذى عاش فيه تجارب حياته وأفكاره ٠

فان فنان هذا العصر يجب أن ينظر الى العالم نظرة جديدة وذاتية فى جوهرها ويجب أن يعرف كيف ينبغى ان يعبر عن هذه النظرة فى اعماله بامانة واخلاص ٠

ان العمل الفنى ليس اظهار الطبيعة مصورة كما هى فى الواقع وانما يجب اسـتخدام الطبيعة استخداما جماليا حتى يتم تحويلها وابرازها فى تشكيل جديد يلائم تجارب الفنان النفسية ويصور حياته التى يعيشها ٠

فالتعبير فى اى صورة من صور الفن لا يكون الا بتحويل الواقع الطبيعى الى واقع فنى ذلك ان اللوحة الفنية او العمل الفنى ليس جزءا من الحياة وانما هو عالم قائم بذاته له لغته المستقلة التى يعبر بها عن نفسـه وعن احاسيسه وعن عواطفه ورغباته بكل اوزانهـا ونظرياتها ، حيث يملء احساسا بالجو العام المحيط به ـ فالتعبير عن الشعور والافكار وجد فى نفس الانسان منذ بدء الحياة ٠٠ ولكن تتعلق الفترة التى يرغب فيها الفرد بالتعبير عن نفسه بالحاجة الى التصوير المطابق ٠٠ حتى يكون للشـعور والأفكار المعنى الأكبر تطبيقا وحتى يصل المعنى الى فائدة عامة ، فان رسالة الفن ان تقدم لنا التجارب النفسية والأشياء الجديدة التى تضيف الى خبرتنا فى العالم اكتمالا واثارة أكثر مما هى عليه ٠

واذن فالفنان ما هو الا خالق مبدع يقدم لنا اسمى آيات فنه فى الصـورة التى يحس بها ٠

وبعد فاننا فى هذا الباب نقدم لمحات سريعة نريد أن نكشف بها عن نواحى الابداع فى العمل الفنى ٠٠

« الحسين فوزى »



الفنان الحسين فوزى من الرواد الأوائل فى فن الحفر فى مطلع هذا القرن بالجمهورية العربية المتحدة ٠

وتاريخ حياة الفنان يعطى صورة واضحة للفنـان الدارس الجاد الخلاق الذى ارتبطت موضوعات اعماله بحياتنا الاجتماعية فى الاربعين سنة الاخيرة مع تمكن من السيطرة على الاساليب الفنية المعاصرة ، وفضلا عن ذلك تميزت باساليب تكنيكية خاصة اوجدت لشخصيته طابعا مميزا استوحى من تراثنا القديم وآمالنا المستقبلة ٠

- ولد فى القاهرة ١٩٠٥
- دبلوم فى الفنون الجميلة بالقاهرة ١٩٢٨
- سـافر الى باريس فى بعثة لمدة اربع سنوات من عام ١٩٢٩ الى ١٩٣٤
- درس فن التصوير الزيتى مع الاستاذ فوجيرا
- درس فن الحفر بمدرسة استين بباريس وكذلك الزخرفة بالمدرسة العليا للفنون الزخرفية بباريس
- اشترك فى صالون باريس عام ١٩٣٣
- أصبح استاذا فى الحفر بكلية الفنـون الجميلة بالقاهرة ٠ واشترك فى كثير من المعارض الداخلية والخارجية
- نال الجائزة الاولى فى فن الحفر بمعرض بينال بالاسكندرية ٠
- نال تقدير الدولة بمنحه وسـام العلوم والفنون من الطبقة الاولى
- له مدرسة خاصة فى فن الصحافة
- قام بعمل رسومات ملونة داخـل جوامع القاهرة طبعت فى مجلدين
- قدم اعماله عن البيئة خلال اربعين عاما فى معرض خاص خلال هذا الشهر بقاعة الفنون الجميلة بالقاهرة



العدد ٨٨

الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر